ألخاندرو كاسونا

الشَّيطَانُ مَرَّةً أُخرَى

ترجمة
علي إبراهيم أشقر



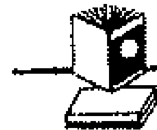
مسرحيات عالمية
(١٥٣)

الإشراف الفني زهير الحمو

ألِيخاندرو كاسونا

الشَّيطانُ مَرَّةً أُخرَى

ترجمة
علي إبراهيم أشقر



منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٩

العنوان الأصلي للكتاب:

ALICANDRO CASONA

OTRA VEZ EL DIABLO

CUENTO DE MIEDO

EN TRES JORNADAS Y UN AMANECER

الشيطان مرة أخرى = Otra vez el diablo / أليخاندرو كاسونا؛ ترجمة علي أشقر. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩. - ١٢٨ص؛ ٢٠سم. - (مسرحيات عالمية؛ ٥٣).

١-٨٦٢ س ك ا س ش ٢- العنوان ٣- العنوان الموازي
٤- كاسونا ٥- أشقر ٦- السلسلة مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٩١/ ٣/ ١٩٩٩

مسرحيات عالمية

« ٥٣ »

شخوص المسرحية

الطالب

ابنة الملك

المرافقة

الشيطان

كاسكبيل

القائد

صاحب الفندق

فارفان

بالدوبينوس

كلوتالدو

عصابة ١

رجال عصابة وجنود

في بلد خيالي وفي الزمن الغابر

(مسرحية ذات ثلاثة فصول. تجري في ثلاث ليالٍ وصباح.)

مقدمة

يتابع كاسونا في هذا العمل خطّه الفانتازي الذي بدأه بالحورية الخارجة من الماء.

المسرحية تحكي قصة خوف دون خوف، مفعمة بالفاكهة والشعر وتجري على النحو التالي:

«ابنة ملك كانت في صغرها تلبس قبعة حمراء وتحمل سلة في يدها، وتذهب إلى الغابة لتلتقي بالذئب، والخوف يملأ صدرها. ولما صارت فتاة كانت تسعى مع مهرجها للقيام بمغامرات، وتعيش أحداثاً استثنائية. التقت في الغابة بطالب إسباني شاب، يحلم هو أيضاً بالمغامرات، كان قد انتهى لتوه من محاورة مع الشيطان رافضاً السعادة الأرضية التي يعرضها عليه هذا الأخير بتجرد في الظاهر.

خاب أمل الفتاة لما أعلمها الشاب أنه ليس شاعراً ولا قاطع طريق. لكن قلبه خفق بحبها. وما أن انصرفت حتى عاد الشيطان ووعد المحب بتحقيق غايته. واستطاع

الشيطان دخول القصر، وسُمّي مربياً للأميرة. ومذ ذلك، أخذت مختلف الكوارث من وباء وثورة وحرب، تهدد أمن مملكة، ملكها بطيء الفهم وساذج.

تخبره الأميرة الشيطان مربيها الجديد، أنها تخطط لقتل الشيطان خلاصاً من الكوارث. فيعلمها أن قتل الشيطان يتم بخنجره ذاته. وهو في ذلك الوقت، في حوزة طالب إسباني أصبح رئيس عصابة عجيبة من قطاع الطرق، أفرادها يميلون إلى الثقافة أكثر مما يميلون إلى الإجرام.

عرضت الأميرة يدها لمن يقتل الشيطان؛ وتوجهت إلى نزل «الديك الأبيض» حيث يقيم الطالب وعصابته. لما رآها هذا الأخير، عاده الشوق والحب، فعاهدها على قتل الشيطان. لكنه شرب شراباً سحريا مزجه الشيطان بخمرة كأسه. فيحس أنه شخص آخر شرير يميل إلى تحقيق رغبته الجسدية بالعنف. لكنه لما عرف الفخ الذي سقط فيه، وهو في آخر رمق من وجوده الخيّر، طلب إلى الأميرة أن تهرب، فترفض. ينادي على كاسكبيل أن يربط يديه ـ وهذا مافعله المهرج ـ ويأمره بالإسراع ليعلم الملك بالخطر المحدق

بابنته. وبعد لحظات من العتمة على المسرح. أخذ الفجر يتنفس مصحوباً بدقات أجراس مرحة.

يصل الملك وجنوده، وهمّه القبض على الطالب. لكن هذا الأخير الذي فكت الأميرة وثاقه، يؤكد أنه قتل الشيطان خلال الليل. فخنجر الشيطان الذي يقطر دماً كان الدليل الساطع على صدق دعواه.

قصة الخوف دون خوف تنتهي نهاية سعيدة بزواج الطالب من الأميرة.»

الحق أن الشيطان كان موضوعاً كلاسيكياً في المسرح الإسباني. وكان له حضور دائم في العصور الوسطى. يقول الشيطان للطالب الإسباني: «في بلدك، كنت دائماً مادة دراسية». كاسونا نفسه عالج هذا الموضوع مرتين: في هذا العمل أولاً، ثم في «قارب دون صياد».

يبتعد المؤلف في معالجة موضوعيه عن إشكالات الميتافيزيقا، وتعقيدات الفلسفة ورموزها. لذلك، يضع عمله في أجواء فانتازية، وعبر أشخاص لاواقعيين. فالعمل يجري كله مساءً وليلاً وذات صباح، ساعة

انكشاف الحقيقة. والمكان: جبل وغابة، وقصر هو أشد غموضاً من الغابة نفسها. أما الأشخاص فقد رُسموا على شكل كاريكاتوري غير مبالغ فيه. فالملك يبدو «هارباً من ورق لعب إسباني»، ويفتقر إلى الذكاء والنباهة، لكن، لاينقصه شيء من الاعتداد الشديد بالنفس. ابنته فضوليّة أكثر مما هي مولعة بالجديد والطريف، وتسعى بوسائلها الخاصة لاصطياد عريس. والطالب فيه «سحر قصة صعلكة»، يعيش بلا مبالاة ويطمع بالمجد ويقع في حب الأميرة. المهرج شاعر بائس في مناخ غريب، لكنه علبة أنغام. والمربي فيه من الحذلقة قدر مافيه من الرياء. أما الشيطان، فليس هو مفستوفيلس وإن سمّى نفسه في المسرحية بهذا الاسم. إنه شيطان مسكين من «شياطين العصور الوسطى، حريص دائماً على إخفاء ذيله». فهو يثير الرثاء وليس الخوف. قطاع الطرق يبدون أشبه بعصبة طلابية عائدة إلى وطنها بعد ختام العام الدراسي في الخارج.

يطرح كاسونا بمهارة موضوع صراع داخلي عميق:

قتل الشيطان! أيمكن قتل الشيطان؟ قتل من لا ينفع في مواجهته حديد ولاسم ولانار؟ يقول الناقد الإسباني ف. ك. روبليس: «في رأيي، أصل تسمية هذه القصة قصة خوف دون خوف نابع من إشكال أشد إلحاحاً وشمولاً مما نجده في مسرحية فاوست. الإشكال هو كيف وأين يستطيع المرء الانتصار على الشيطان. هي مشكلة داخلية بالضرورة، وإلحاحها وشمولها يتجذران في أن حلها مطلوب على شكل مطلق من بني البشر الطامحين إلى الخلاص الأبدي».

الانتصار على الشيطان ممكن بخنقه داخل كل منا بسلوك صحيح، ونقاء ضمير وإرادة طيبة وبالحب. وقد أراد الشيطان أن يتسلل من خلال «نقطة الضعف» هذه (أي الحب) إلى إرادة الطالب، فتحولت إلى مقتل له. فانثنت إرادته أمام طيبة الفتاة وعزمها على إنقاذ المملكة، وأرغمته هذه على التوجه معها إلى المصلّى، ويحيطها هو بالعطف حين تصاب بالذعر. ويرشدها إلى أن الشيطان يقتل بسلاحه فقط. ودل الطالب على أن قتله يتم بخنقه داخل كل روح صالحة.

إذاً، تم التحول الكبير بفعل الحب لدى الأميرة والطالب الشاب. فالأميرة التي كانت تذهب في صغرها إلى الجبل بدافع الفضول، وفي شبابها بدافع الإثارة وطلباً للمغامرة، تتوجه بعدئذ إلى نزل الديك الأبيض بدافع الواجب متوسلة بحبها إلى الطالب ليقتل الشيطان ويخلص المملكة من شروره.

وهكذا انتقلت من عالمها اللاواقعي إلى عالم الواقع. والطالب ينتقل من متسكع إلى قائد عصابة، إلى منقذ المملكة. يدفعه حبه للأميرة إلى التفوق على ذاته، والمخاطرة بمنازلة الشيطان داخل نفسه وينتصر عليه.

وهكذا قدم لنا كاسونا موضوعاً شائكاً بمهارة وجمال، يفيض بالشعر والعذوبة والفكاهة. ولو قدم موضوعه «بواقعية أدبية أو فلسفية لبدا مقلقاً وقاتماً».

المترجم

الفصل الأول

(تقاطع طرق في الجبل. صليب يعلو نصباً ذا درجات عند القاعدة، يجلس عليها قائد عصابة من قطاع الطرق. هو ملتح ويحمل منظاراً. إزاءه يجلس رجاله على شكل حلقة. إنهم رجال عصابة لهم تطلع جمالي. وهم بذلك، يتلكون معاطف، وبنادق وشعوراً طفولياً بالقانون.)

المشهد الأول

القائد ورجاله. أحد أفراد العصابة يجوب قاع المسرح قائماً بواجب الحراسة.

القائد : أرجوكم أن تفكروا في الأمر على مهل، ياأبنائي. أنا لا أحاول أن أحجزكم هنا. يمكنكم أن تنصرفوا، إن شئتم.

أفراد العصابة : كلا! كلا! . . . الأمر ليس كذلك.

القائد : ألكم أية شكوى؟

فارفان : ولاشكوى. أنت رجل عصابة كامل، ورفيق مخلص.

كلوتالدو: أب حقيقي. نعم، ياسيد.

القائد: إذاً؟

فارفان: نحن لانستطيع الاستمرار هكذا يوماً واحداً آخر. الأعمال هي الأعمال. وقطع الطريق هنا، كما ترى، ليس له مستقبل.

القائد: لانبيّ في أرضه. بدأنا العمل منذ فترة بسيطة، وإن عصابة من قطاع الطرق هي شيء لم يُر مثله في بلدنا. علينا أن نكافح كثيراً، لنكون حولنا جمهوراً. لكن ساعتنا قادمة.

كلوتالدو: باختصار، مانريده، أيها القائد...

القائد: ماتريدونه هو أن تبرروا خوفكم. لحظت ذلك منذ مدة. تريدون أن تتخلّوا عن حياة البطولة، وتعودوا إلى بيوتكم، إلى المجتمع. واخجلاه! لكن، أنسيتم ماهو المجتمع؟ إنه حظيرة خنازير غطّت عليها الأخلاق والشرف.

كلوتالدو: موافقون، أيها القائد. لكننا فكرنا . . .

القائد: ولانصف كلمة أخرى. من لايتفق مع العصابة فليذهب الآن، فوراً! **(تمتمات. ينهض القائد)** الطرق واضحة جيداً. ليبق هنا من يدافع عن العدالة والحق. أما الآخرون، فليذهبوا ليذوبوا في الكتلة المغفلة. انصرفوا! انتهت الجلسة.

الحارس: (مقترباً) سيّدي . . .

القائد: ماذا وراءك؟

الحارس: عناصرنا المتقدمة تقترب. إنهم يقودون أسيراً.

القائد: أسير؟ كيف شكله؟

الحارس: لن يكون شيئاً مهماً، إذا حكمنا عليه من المظاهر.

القائد: سنرى. وأنتم، اهدؤوا. **(يقترب من قاع المسرح).** ياه! طالب فلاّح! حظنا سيء. فليأتوا به. **(يخرج الحارس ثم يعود مع بالدوبينوس وعنصر آخر يحرسان الأسير. الضحيّة طالب إسباني، خالي**

البال وشاب . فيه سحر قصة صعلكة ، يكاد تلفه هالة من قاعات الدرس . ثوبه ممزق ويحمل صرة صغيرة على كتفه) .

المشهد الثاني

المذكورون والطالب

بالدوبينوس : سيدي ، هاهو الأسير .

القائد : ماقصته؟

بالدوبينوس : هو طالب اسباني كان متوجهاً إلى جامعات ألمانيا . أخرته مشاجرة ، وأضاع أثر رفاقه ، ثم سقط بين أيدينا .

القائد : هل أبدى مقاومة؟

بالدوبينوس : في البداية ، نعم . ظن أننا جند الملك . لكن ، لما علم أن الأمر يتعلق بقاطعي طريق ، سأل إن كنا فلاحين ، وأبدى رغبة كبيرة في أن يتعرف على القائد .

القائد: أفعل ذلك؟ يافتى . . أنت من جماعتي . **(يمدّ له يده)** رفاقي قاطعو طريق مبتدئون . أنت ذو نفس حرة ، طالب وإسباني ! نحن أصدقاء .

الطالب: شكراً ، أيها القائد . إذاً ، أنتم قطاع طرق . من كان يتخيّل ذلك ! كنت أظن هذه المملكة متخلّفة جداً .

القائد: وهي كذلك ، وهي كذلك . ليس فيها حتى الآن إلا لصوص مضحكون ، دون رومانسية ولا جمال . كما ترى ، حاولت صبغها بصباغ أوروبي . لكن ، كأنما تزرع الملح .

الطالب: ألم تكن على مستوى جهدك؟

القائد: ياليت ! شعبنا ليس لديه وعي بالأدب .

كلوتالدو: نحن أمة دون مثل عليا . دون ثقافة جمالية .

القائد: الرعاع يكرهوننا ، والسادة سيسرون ، لو وجدونا ، ذات يوم معلقين على أعواد المشانق . ماأفظع ذلك ! لو كنا في أي بلد من بلاد الجنوب ، لقُدِّمتْ

لمؤسستنا معونة من الدولة. لكننا هنا.. ماجدوى مثلك وسط شعب من الأميين والتجار.

الطالب: منذ متى وأنتم تكرسون حياتكم لهذه المهمة النبيلة؟

القائد: نحن هنا منذ خمسة عشر يوماً. وفي المحافظات الأخرى مضى علينا ثلاثة أشهر.

الطالب: ليس كثيراً.

القائد: أي شيء ليس كثيراً؟ لكن، كم تظن أننا نستطيع المقاومة؟ وكم فقدنا خلال هذه الفترة؟

كلوتالدو: مائة إسكودو، ياسيد. مائة إسكودو قدمتها لشراء البزات والأسلحة.

بالدوبينوس: وعشرين أخرى قدمتها أنا من أجل نفقات الدعاية.

فارفان: ينقصنا التنظيم. اقترحت، كبداية، أن نسرق البزات والأسلحة. وبذلك نحصل على الدعاية عرضاً.

الطالب: خسارة! ألا يوجد أمل باسترداد هذا المبلغ؟

القائد: صعب. ليس لدينا جمهور.

كلوتالدو: الناس يفرون منا.

بالدوبينوس: ويغلقون بيوتهم برتاج مضاعف.

فارفان: وحين يقررون المجيء إلى الجبل، يتركون النقود في البيت. إنهم برجوازيون!

باريوس: تسقط البرجوازية!

القائد: اهدؤوا، ياأولادي. نحن متفقون على أن سلوك الناس حولنا فيه قليل من الجد.

فارفان: إنهم يستغلوننا.

القائد: سكوت! خيه! **(للطالب)** آه، ياولدي: أنت إسباني. لكن فلاحاً من غيناردا ويعرف هرناني وجيل بلاس، لا يمكنه فهم بعض الأمور. تلك كانت أزمان أخر!

الطالب: أعترف بدهشتي أيها القائد. ظننت أن مهنتك تدر... مايكفي لكي تعيش باحترام.

القائد: أبداً. قطع الطريق هنا، تجارة مدمرة. هذا بلد غنيّ.

الطالب: إذاً؟

القائد: صعب جداً أن نسلب الأغنياء. فهم يحتمون جيداً.

فارفان: اقترحت أن نسلب الفقراء.

القائد: نعم، يارفاق، نعم. أنت تعلم أننا أقررنا ذلك في جلسة الليلة الماضية.

كلوتالدو: أنا صوّتُ ضده. أسجل في المحضر؟

القائد: سجل!

كلوتالدو: سرقة الفقراء!

القائد: نعم؛ إنه مورد مسعف جداً. كل الناس يقومون به. لكن، ماذا تريد ياولدي؟

كلوتالدو: أن تكون لدينا كرامة مهنتنا.

فارفان: لاتهتم به. إنه إنسان عاطفي.

بالدوبينوس: طبعاً، كما كنت أنت طالباً في مدرسة اكليريكية.

باريوس: يسقط الاكليروس!

القائد: نظام، ياسادة، نظام.

كلوتالدو: تعال حتى نتخاصم!

باريوس: يحس بالعطف!

القائد: سكوت! أينبغي لنا أن نتساهل مع الفقراء؟ ليكنْ. لكن دون ضوضاء مزعجة. حقاً، كنت أيها الطالب، أول من وقع بين أيدينا مذ اتخذنا ذلك القرار.

الطالب: هذا شرف كبير لي، أيها القائد.

القائد: شكراً، يابني.

الطالب: يؤسفني أنني لا أستطيع أن أقدم لك إلا هذا البؤس. **(يسلمه الصرة)**.

القائد: بحق الله . . . نحن نعرف ماذا يعني طالب. أمعك نقود؟

الطالب : ثلاثة إسكودات من الفضة . وقليل من عملة نحاسية .

القائد : ليكن . . . لنر : أيها السكرتير . . . دور من هذا الأسبوع؟

كلوتالدو : حاضر .

القائد : سجّل مايلي : ثلاثة اسكودات من الفضة ، وقليل من عملة نحاسية . ماذا لديك أيضاً؟

الطالب : ثوبا غيار ، وشطيرة ، وشعر امرأة ، وكتيب في البلاغة والشعر .

القائد : لاضرورة للعملة النحاسية ! **(يسجل كلوتالدو ذلك)** أبقي شيء؟

الطالب : (ينفض يديه) كلا ، ياسيد . . . شكراً جزيلاً .

القائد : التاريخ والتوقيع . **(للطالب وقد أعطاه وصلاً)** اذهب بسلام . **(صفرة)**

بالدوبينوس : انتباه ، أيها القائد ! **(يستعد قاطعو الطريق)**

فارفان : إنهما فابريكه وهونوراتو يناديان .

الطالب : أيوجد خطر؟

القائد: كلا! إشارة الخطر ثلاث دقات. زبون جديد.

بالديبنوس: كان عند الهاوية.

القائد: تهيئوا. وأنت، أيها الطالب: أمدّ لك يدي. قد لانرى بعضنا مرة أخرى. ومع ذلك، إذا ماأتعبتك الحياة ذات يوم في المدينة، واحتجت إلى ملجأ هادىء، فسوف تلقاني هنا. سنحاول أن نجد لك مكاناً صغيراً في العصابة.

الطالب: شكراً لك.

القائد: في نزل **(الديك الأبيض)** تجد بيتاً لك. من كل قلبي. **(لأنصاره)** مستعدون؟

رجال العصابة: تحت الأمر.

القائد: وداعاً يابنيّ. **(يعانقه)** سيروا! **(خرجوا. وسمعت صفرات احتجاج)**

الطالب: وداعاً وحظاً سعيداً.

المشهد الثالث

الطالب وحده ثم الشيطان

الطالب: لكن، ياسيدي، تركني قطاع الطرق هؤلاء سالماً. أسفي على الشطيرة، لأن الإسكودات لاتكفيهم لشراء طلقات. مساكين هؤلاء الناس! **(يجلس على درجات الصليب)** حسن! والآن؟ نحن كما في كتب الفروسية: تقاطع طرق وتفكير؛ الجبل، من هنا. فيه سأكون وحيداً ودون بيت. ومن الجهة الأخرى، رجال العصابة مرة أخرى. ومن هناك، الطريق إلى المدينة. ماذا نفعل ياعزيزي؟ لو كان عندي حصان، لحُلّ كل شيء. أرخي له العنان، ثم يتجه هو حيث يشاء. لكنني وحيد! وهكذا لاأستطيع حتى أن ألعب طرة ونقشاً. **(من وراء الصليب يبرز الشيطان دون زحّافة يلفه سر غامض. يسير دون أن يحدث ضوضاء، مبدياً في كل لحظة إحساساً بعدم التوازن. هو شيطان ناضج**

ليس له عمر. يرتدي ثياباً نظيفة سوداً على شكل صارم: سروالاً، قبعة أكاديمية، معطفاً قصيراً. ويتحدث على نحو طبيعي. فيه أحياناً لمسة من كآبة).

الشيطان: حفظك الله، أيها السيد الطالب.

الطالب: شكراً. وأنت أيضاً.

الشيطان: ألست متطفلاً؟

الطالب: أبداً. **(يتأمله)** اسكت! **(ينهض وينظر إليه بإمعان)** شيء ولا أغرب. أقسم أني أعرفك.

الشيطان: هذا ليس مستحيلاً. كنت طالباً سنين طوالاً. ونلت بعض الشهرة بين حلقات الطلاب في إسبانيا.

الطالب: نعم، نعم. هذا صحيح. **(يمسكه من ذراعه فجأة)**. أنت الشيطان بذات ذاته. لاتنكر ذلك عني.

الشيطان: أنكره؟ ولِمَ؟ أنا الشيطان بشخصه. لا أظن أن الاعتراف بذلك مخجل.

الطالب: آه، حسن! **(يجلس مرة أخرى بهدوء)**. لكنني أحذرك بأنك تضيع وقتك معي. لست مستعداً لبيعك روحي مهما كان الثمن. أنا كاثوليكي، رسولي روماني.

الشيطان: وأنا أيضاً.

الطالب: أنت؟

الشيطان: أقسم لك على ذلك. **(يرسم صليباً بإبهامه وسبابته ويلثمه)**. إذاً، ماذا كنت تظنني؟

الطالب: يارجل... كنت أعتقد...

الشيطان: ماذا؟

الطالب: لا، لاشيء. سامحني. اجلس.

الشيطان: بالإذن.

الطالب: لابأس، لابأس! إذاً، كنت تقوم بجولة هاهنا، أليس كذلك؟ يفرحني. الحق، لدي رغبة كبيرة في أن أعرفك.

الشيطان: لكن سبق لك أن عرفتني. قل الآن بصراحة: ماذا أبدو لك؟

الطالب: لابأس بك! ظننتك أكثر قبحاً.

الشيطان: **(ملدوغاً)** أكثر قبحاً! بالطبع، رُويت لك حكايات سخيفة عني. الناس لاتعرف شيئاً إلا إزعاج الغير. وأنا أعترف لك، فوق ذلك، بأنني من «دقّة» قديمة إلى حد ما. لقد ازددت سمناً. لو عرفتني في أيام شبابي!

الطالب: أيام شبابك! حين كنت تُخيف الفلاحات وتوقع عقوداً عند المفارق. أليس كذلك؟

الشيطان: يحزنني أن أسمعك تتكلم على هذا النحو. أنتم - بني البشر - لايرجى صلاحكم. متى تشبثتم بكذبة، بذلتم في سبيلها حياتكم.

الطالب: أكذبٌ قضية العقود؟

الشيطان: من حيث الواقع، لا. لكن، من حيث النتيجة، نعم. أنتم تذكرون ذلك دائماً لتنسبوا إليّ روحاً تجارية.

الطالب: بالطبع!

الشيطان: لكن، كلا! كل هذه الأمور حكايات عجائز. لست خداعاً ولا انتهازياً. حقاً أني وقعت بعض العقود؛ لكنها كانت لصالح الإنسان دائماً. عقود مجحفة بي. وإذا كنت أهب الشباب والحب والمال، فإنني أمنحها بشروط جيدة. بالمقابل، انظر ماذا يمنحني المتعاقدون معي: أرواحاً مهترئة، موبوءة بالمرض والعيوب. أمر مقزز!!

الطالب: إذاً، لماذا تعقد هذه العقود؟

الشيطان: وماذا بوسعي أن أفعل؟ لا يطلبونني إلا من أجل هذا الغرض. لا أحد منهم يذكرني، إلا حين يضيق بروحه.

الطالب: لكنني لا أضيق بروحي. النتيجة: إن كنت جئت من أجل...

الشيطان: أهدأ ياسيد. دون لغو. في المقام الأول، أنا لا أستطيع المجيء لأشتري منك روحك، لأنك لاتملك روحاً حتى الآن.

الطالب: لاروح لي؟

الشيطان: لاتكن مغروراً. أنت لاتزال شاباً. للحصول على روح يلزمك عمل طويل.

الطالب: إذاً، لماذا جئت؟

الشيطان: لأعرض عليك صداقتي بتجرّد. أنت في بداية الحياة. وهذا أمر خطير. وأنت لاتعلم أين وضعت قدمك.

الطالب: إذاً، شكراً جزيلاً. هذا لايفيدني. يقول مثل من بلدتي: «الوحدة خير من صحبة سيئة».

الشيطان: هذا ليس صواباً. هناك مثل آخر يقول: . . .

الطالب: نعم: «لاتفلت الشيطان حين تمسك به من ذيله».

الشيطان: **(مهاناً)** لاتقل هذا. إنه فظاظة.

الطالب: بالتأكيد، مسألة الذيل. . . أين أخفيته؟

الشيطان: لكن، ياسيد: متى يكفّ البشر عن قول الحماقات؟

الطالب : أكذبٌ أيضاً قضية الذيل؟

الشيطان : كذبة فاقعة . كل أكاذيبكم تقريباً كبيرة . لقد أثارها الرسامون ، وهم أناس حمقى سيئو التربية .

الطالب : الرسامون وحدهم؟ لكن ، في حياة القديسين أيضاً . . .

الشيطان : أعلم ، أعلم . كذلك القديسون تصرفوا معي تصرفاً سيئاً . ومع ذلك ، لو لم أكن أنا ، لما كانوا هم . كم عملتُ من أجل قداستهم ، حارماً نفسي من النوم ، محاولاً إغواءهم دون كلل ، وفي ساعات استثنائية ، أحياناً في الساعة الرابعة أو الخامسة فجراً! لكن البشر . . أعتقد انهم لم يفهموني . لم يفهموا أنهم كانوا في تاريخ السماء رأس المال ، وأنا كنت العمل . لكن استثناء واحداً ينبغي أن أذكره ، ألا وهو تيريسا دي أبيلا .

الطالب : بنت بلدي!

الشيطان : كانت ذات روح كبيرة . ما أجمل نثرها! نثر واضح كقمة سلسلة جبلية . كانت تشفق عليّ

حقاً. لكنها شفقة امرأة. . . **(يمسكه من ذراعه)**. أقرأت «رسائلها»؟

الطالب: ماذا، ماذا؟ إذا شئت الصدق، لا! إني أعرف شيئاً من ألاعيبك. وأقسم لك إنك لن تفيد مني شيئاً. **(ناهضاً)** تكلمنا بما يكفي. ألا يبدو لك ذلك؟

الشيطان: أوه، كلا! اسمعني لحظة واحدة أيضاً. أريد أن أصارحك.

الطالب: عبثاً تحاول.

الشيطان: لحظة واحدة فقط!

الطالب: ولا نصف لحظة. الوقت متأخّر، والليل سيرخي سدوله علينا.

الشيطان: أهو الخوف؟

الطالب: من؟ أنا أخاف؟ أنا طالب متخرج من سلامنكا، وقادر جداً على قطع أذنيك لو تقدمت. .

الشيطان: أعلم ذلك. أنتم - الطلاب - كلكم فظاظ جداً،

وليس في سلامنكا وحدها. لكن، عليّ أن أسارك. اسمعني لحظة.

الطالب: (متباهياً) ليكن!

الشيطان: اسمع! أنا أحظى بسمعة سيئة جداً. يعتقد الناس أني لا أصلح إلا للتآمر. الفلاسفة يرون فيّ نفياً. واللاهوتيّون يبيّنون أنني لا أستطيع فعل الخير ولو أردت. وهذا غير صحيح. علي أن أقدم تكذيباً لدعوى هؤلاء المشعوذين. أتفهم؟ عليّ أن أفعل الخير قبل أن أستقيل بسبب الهرم. لكنه خير شيطاني يقوم على التآمر والإغواء.

الطالب: لكنني لا أفهم لأي شيء تحتاجني. أتريد أن تفعل الخير؟ افعله مرة واحدة. ولا أظنك تحتاج الاعتماد على أحد.

الشيطان: أنت مخطيء. يلزمني الاعتماد على من سيتلقى الخير. لأنني لا أفكر بعمل الخير كما يُعمل الشر: ضد أول من يصل. ولا بمنحه صدقة كما يفعل الملائكة والأغنياء الجدد. أحتاج إلى النضال،

أحتاج إلى الذكاء والجهد. وأنت مفيد لي.

الطالب: ولماذا أنا تحديداً؟

الشيطان: أنت حرّ وقوي؛ وأنت وحيد في بلد مجهول. زد على ذلك، أنت إسباني. أحمل ذكريات طيبة من إسبانيا.

الطالب: أيها الشيطان، نحن نضيع وقتنا.

الشيطان: عدّني رفيقاً، فلن أثقل عليك. سأعلّمك صنع روح مجبولة بالنار والحديد.

الطالب: كلا، وشكراً.

الشيطان: روح عل مقاس جسمك: باسلة وسليمة. ألا تريد؟

الطالب: معك، أبداً.

الشيطان: لا بأس! ستندم ذات يوم. أنت اليوم، شاب وتحسب أنك تكفي نفسك بنفسك. لكن الحياة قاسية والأعوام تمضي.

الطالب : بالله عليك، اختصر . هذه المشاهد المألوفة تغمني كثيراً .

الشيطان : (جاداً على شكل مفاجيء) وداعاً! **(يبتعد محزوناً، وهو يصفّر بأغنية، ويقذف بقدمه حجارة الطريق) .**

المشهد الرابع

الطالب وحيداً. ثم ابنة الملك وكاسكبيل

الطالب : وداعاً، ياعزيزي، وخذ حذرك من اللصوص . **(يضحك)** إنه شيطان مسكين . **(جاداً)** وأنا أحمق . بعد كل شيء، من يدري، ماذا يمكن أن يحتاجه المرء . أخيراً . . لننطلق على جناح السعد، إذا سمح الله بذلك . **(يتأهب للخروج . تتردد ضحكات في الجبل . يتوقف)** ياللشيطان! هذا أكثر جداً .

(عبر طريق الجبل تظهر ضاحكة قافزة ابنة الملك. تأتي وهي تنظر إلى الخلف. وتغني بصوت ناعم كالطفل)

كوكو، كوكيّو

ياذنيب المكنسة

كم عاماً بقي لي

ليقام عرسي؟

(كاسكبيل في الداخل، يغني مقلداً الكوكو).

ابنة الملك: واحد... اثنان... ثلاثة.. آي، كاسكبيل! أنت تعبث بي! لا أريد ذلك. أنت تخدعني! ستة... سبعة... آه، ياقاس! أنت تقتلني، بحق الله يكفي، يكفي الآن.

كاسكبيل: كرري، ياسيدتي، للمرة الأخيرة، كو-كو!

ابنة الملك: سآمر بجلدك. **(صمت)** أتسمعني؟ أين اختبأت؟

كاسكبيل : صعدت الشجرة لأقلد الكوكو .

ابنة الملك : هيّا ، انزل فوراً . الوقت متأخر والسيد الملك سيأتي في إثرنا .

كاسكبيل : أنا قادم !

ابنة الملك : (لوحدها) أيها الشرغوف . . . كم مرّة قلدت الكوكو؟ كم عاماً بلغت كي أتزوج؟

الطالب : (الذي يتأمل المشهد دهشاً) أربعة عشر ، ياسيدتي . لقد عددتها عاماً فعاماً .

ابنة الملك : (خائفة) من أنت؟

الطالب : عبدك منذ دقيقتين .

ابنة الملك : يشرفني . **(انحناءة ساخرة . تضحك فجأة)** عبيدي يلبسون ثياباً أفضل من ثيابك .

الطالب : (يحمرّ خجلاً ، ويتأمل ثوبه الممزق) أتشيرين إلى هذا؟ هو ذكرى شجار حديث .

ابنة الملك : مزقة بطولية ! وهو لطيف جداً . إنه يتموج مع ريح المساء كأنه راية . **(تضحك)**

الطالب: **(تواتيه الفكرة)** أيعجبك؟ **(يجذبه من فوق كتفه، ويقطع منه قطعة)** أنا أهديها إليك.

ابنة الملك: شكراً لك... **(تأخذها ولاتدري ماذا تفعل)** اعذرني إذ ضحكت... ربّما كنت جريحاً.

الطالب: بس! مجرد خدش. وهو أتفه من أن يعرض عليك. **(يدخل المهرج. يرتدي معطفاً من حرير أخضر. يضع طوقاً في عنقه وقلنسوة ذات أجراس على رأسه. وعصا تنتهي بسياط في يده. صوت أغنية)**

كاسكبيل: **(داخلاً)** اضحكي قليلاً باتجاهي ياسيدتي، فأنا لا أرى الطريق. **(يلمح الطالب. يقف أمامه حاسر الذراعين على شكل قاس)** من أنت أيها الشحاذ الواقف هناك؟

ابنة الملك: كاسكبيل!

كاسكبيل: قف أمام ابنة الملك التي ضحكتها تجعل شياطين الملك، تشرق بالعاطفة. أستبقى على هذا الوضع؟

ابنة الملك: كاسكبيل!

كاسكبيل: أرى جيداً أنك غريب وذو عينين جافتين.
اركع، أيها التعس! ثم طف بالعالم وقل: إني شهدت اليوم معجزة من فضة، وشعراً من مطر، وعينين من ماء مالح. وإنك رأيت ابنة الملك حلم الشعراء. سبعة تنانير أهدوها، ومغازل من ذهب وهبوها. من أجلها تغني أعشاش الطيور، وتترنّم النجوم!

ابنة الملك: كاسكبيل، اخرس الآن!

الطالب: **(يمسكه من ذراعه بعنف)** كلا، أكمل ياكاسكبيل، أكمل: وتترنم النجوم... ثم ماذا؟

كاسكبيل: **(جاداً. يبعد ذراعه ويمسح ثيابه)** ابتعد عني أيها الشحاذ! **(يشوش إيقاع أغنية خفيفة)** كم سيرتجّ الشهد بين شدقي الدب!

ابنة الملك: **(للطالب)** لاتهتم به.

الطالب: مسلّ مهرجك.

ابنة الملك : أحياناً . أستاذي يقول : إنه شاعر مثقف . لكنني أعتقد أنه مجرد مشعوذ ومهرج .

كاسكبيل : آه! سيدتي تحتقرني . سيدتي تحتقرني دائماً على هذا النحو كلّما تحدثت إلى الشبان . **(ينتحب بافتعال)**

أحب المهرج حباً

سرقه منه الحطاب

لماذا تريد المطرقة؟

لأقتل بها اللص «الحطاب» .

(يقفز إلى جانبهما)

توك ، توك ، توك ، توك!

ابنة الملك : اسكت!

كاسكبيل : الموت للحطابين الذين سرقوا مني الضحك! الذين قطعوا الغابة . توك . توك . توك . توك .

ابنة الملك: كفى ، ياكاسكبيل! أهدأ . تعال هنا . **(يقترب**

ككلب ويلحس يدها) خبيث! **(تداعبه وتدنيه منها بجذب الطوق)** أنا ابنة الملك، هذا صحيح. لكن معلمي كان اليوم متوعكاً، ولم أتلق درساً في النحو. معلمي مريض بالكبد. أتعلم ذلك؟ وحين يشتد عليه الألم، يؤذن لي بالخروج إلى الريف. وهذا يحدث عادة مرتين في الأسبوع.

الطالب: معلمك، ياسيدتي، ذو كبد رقيقة جداً.

ابنة الملك: المسألة هي أننا تحدثنا هذا المساء كثيراً جداً. ها هو الظلام ينتشر، والسيد الملك لا يلبث أن يصل. زد على ذلك، المكان خطر. يُقال إن الجبل موبوء بقطاع الطرق.

الطالب: في الواقع، أنا رأيتهم منذ قليل.

ابنة الملك: أنت رأيتهم؟ وأين؟

الطالب: هنا، في هذا المكان. كانوا جالسين في حلقة قرب الصليب.

ابنة الملك: هنا! أرأيت ياكاسكبيل؟ أرأيت كيف أن كلامي

صحيح؟ ماأتعسني! أصل دائماً بعد فوات الأوان .

الطالب : لعلكم تبحثون عنهم .

ابنة الملك : بالطبع . قطاع الطرق ، لابدّ من أن يكونوا أشخاصاً مثيرين : أرأيت القائد؟ قل لي : كيف هو؟

الطالب : بشس!

ابنة الملك : بشس!

الطالب : دعيك مني . مثل كل قادة العصابات : شاب وسيم . عيناه متقدتان ويلبس معطفاً ، ويركب حصاناً .

ابنة الملك : أترى ذلك ، ياكاسكبيل؟ لشد ماحلمت به! باعتقادك ، أكان يخطفني لو لقيني؟

الطالب : (باسماً) لاشك في ذلك . هذا هو التصرف الصحيح .

ابنة الملك : أحقاً؟ كنت أعتقد أن ذلك مجرد حكاية . لشد

مازالت الأوهام عني! حين كنت صغيرة، كنت ألبس أحياناً قبعة صغيرة حمراء وآتي إلى الجبل يقتلني الخوف والألم. لكنني لم ألتق بالذئب أبداً. الخطأ خطأ الشعراء؛ إذ يجعلوننا نعتقد أن الحياة ملأى بالأخطار، ومن ثم يتبدى كل ذلك كذباً. أأنت شاعر؟

الطالب: في الحقيقة، لا. لم يسبق لي أبداً.

ابنة الملك: قاطع طريق؟ ألست قاطع طريق أيضاً؟

الطالب: **(محمراً خجلاً)** ولا هذا أيضاً. معذرة.

ابنة الملك: لايهمّ. لابأس عليك. أنت غريب، أليس كذلك؟

الطالب: **(يقف منتصباً فجأة)** إسباني. طالب من سلامنكا.

ابنة الملك: أوه إسباني!

كاسكييل: **(بزيف)** ياحراس، انتبهوا!

الذئب صار مع الشاة

إلى السلاح ياقائد .

والذبابة صارت في العسل .

(يقلد طيران الذبابة)

ابنة الملك : حسن ! كفاك ياكاسكبيل . نحن ذاهبان .

الطالب : أتسمحين لي أن أرافقك؟

ابنة الملك : كلا ، والله ، الناس خبثاء جداً .

الطالب : لكن الطريق خطر ، والساعة . . .

ابنة الملك : تمام! أتركض جيداً؟ تعال نعقد رهاناً : إذا أدركتني ، فلك الرهان . **(تركض تاركة منديلها يسقط . يتأهب الطالب للحاق بها . يضع كاسكبيل ساقه أمامه)**

كاسكبيل : **(ضاحكاً)** أحسنت ، ياصقر الفراشات! **(يضربه بالسياط)**

ابنة الملك : تصبح بخير ، ياطالب! **(تهرب)**

المشهد الخامس

الطالب والشيطان

ظل الطالب على أربع، ناظراً باتجاه طريق الوادي. أسفل الجبل تتردد ضحكة ابنة الملك. صمت. يدخل الشيطان صامتاً ويلكزه بقدمه.

الشيطان: أيها السيد الطالب... **(الطالب لايسمعه)** السيد الطالب!

الطالب: اذهب إلى الشيطان. **(يلتفت)** آه! هذا أنت! عفواً!

الشيطان: أما كنت ستدعونني الآن؟ ها أنا هنا. **(يقف مكتوف الذراعين)**

الطالب: ربما لم تخطىء هذه المرة.

الشيطان: بالتأكيد، لا.

الطالب: هي أغنية أعشاش، وترنيمة نجوم!

الشيطان: هذه الساعة كنت تفكر بغزو مملكة، وكسب معارك؛ وأن تملأ حياتك كلها بحب امرأة.

الطالب : (مستنبهاً. يجلس على الأرض) كيف عرفت ذلك؟

الشيطان: هذا أول مايخطر لكم جميعاً حين تقفون على أربع .

الطالب: (ينهض) لكن، أرأيتها؟ أسمعت ضحكتها؟

الشيطان: من جهة الضحك، كلهن متشابهات . أتعرف شيئاً آخر عنها؟

الطالب: أعرف. . . أنها ابنة الملك، وأن صوتها يجعل هذه الأنحاء تشرق بالشوق .

الشيطان: كفاك! أنت تعرف كل ماصدف أن قاله مهرج بائس . **(يسكت الطالب منطوياً على نفسه)** صديقي العزيز : لقد هُزمت على شكل مخجل . من قبل، كنت تزدريني . كنت واثقاً بقواك الذاتية، وكنت تفكر، آنذاك، بأنك لن تستخدمها إلا في مواجهة أعداء صغار : رجال عصابات أو أكاديميين . . لكن امرأة برزت لك وها أنت تحس

أنك صغير. ومع ذلك، أنا لست حقوداً. شبّيك لبّيك، ها أنا بين يديك!

الطالب: **(فجأة)** أتستطيع أن تهبني هذه المرأة؟

الشيطان: أهبكها؟ خذها أنت!

الطالب: إذاً، يمكنك الانصراف.

الشيطان: أجل، أعلم ذلك. أنت ترغب في الامتلاك، دون لذة الحصول. وفي القفز من طالب شاب إلى الدكتور فاوستو. لاتكن طفلاً، الحب فكرة تافهة. دعني أصنع الخير الذي وعدتك به. أنا سأزيح من طريقك المرأة، وأريك ماوراءها: المغامرة والمجد.

الطالب: لست بحاجة إليهما.

الشيطان: الحب وحده جيد، حين يكون حافزاً إلى مشاريع أكبر. يحب الرجل امرأة ويقول: سأكافح من أجلها؛ سأقلب العالم وسأحصل عليها. وماذا يهم إذا لم يتحقق الهدف الأخير؟! الجوهري هو الأمر الآخر: الكفاح، قلب العالم. أنا سأساعدك على هذا.

الطالب: إنهـا ابنة الملك، ياصـديقي الشـيطان! وهـي جـد عالية عليّ.

الشيطان: جبـان. حين تكون شـاباً وثرياً، لاتوجد أشياء عالية. اصعد أنت!

الطالب: مستحيل. هي عاشقة. تعشق رجلاً لاتعرفه، تعشق قائد عصابة.

الشيطان: وأنت أيضاً يمكنك أن تكون قائد عصابة من قطاع الطرق.

الطالب: أنا؟

الشيطان: نعم، أنت. إن كانت هي تحلم بك مرتدياً هذا الزي، فماذا يهم. البسه وتقدم.

الطلب: مستحيل.

الشيطان: أنا سأدفعك. سأكون الساحرة التي توجّه مطامحك؛ الساحرة التي تهيب بالجائعين: «ماكبث، ستكون ملكاً، ستكون ملكاً.»

الطلب: مستحيل. أنا لا أرى الطريق . . .

الشيطان: الطريق مفتوح أمامك، شقته هي بنفسها تاركة لك فيه منديلها كي لا تضيع.

الطالب: منديلها؟ **(يراه)** منديلها. **(يقبله بشغف. الشيطان يضحك.)**

الشيطان: جبان! أنت الآن تعشق منديلاً. وهذا يشبه تقبيل ضحكتها. يشبه تقبيلك ذكراها. لِمَ لم تقبلها هي نفسها؟

الطالب: **(مسلوب العقل)** هي غناء أعشاش، وترنيمة نجوم.

الشيطان: جبان! جبان! أنت تحب الضوء المنعكس، وتحب الصدى.

الطالب: معجزة من فضة، ذات شعر من مطر وعينين من ماء مالح . . .

الشيطان: جبان! جبان! **(يجلسه بعنف)** أتسمعني؟ أنت

تعشق بغباء كلمات مهرج . تفكر بالحياة لكنك حالم . جاءت بالمنديل من أجل القائد ، وخانته معك . وستخونك أنت أيضاً مع ذكراك . وذكراك مع شاربي حارس .

الطالب : **(ينتقل من الدهشة إلى الغضب)** آه! أتشتمها؟ حذار ! **(يستل سيفه)** دافع عن نفسك!

الشيطان : **(منتصراً)** وأخيراً!

الطالب : أقول : دافع عن نفسك .

الشيطان : هكذا! اقتحمْ . . اهجم! تعيش!

الطالب : سافل!

الشيطان : من أجلها أشهرت سيفك على الشيطان ، وهذا نظير إشهارك إياه على الله!

الطالب : **(خارجاً عن طوره)** سأقتلك كما أقتل كلباً .

الشيطان : **(يوقف الطعنة بيده)** بذلك . . بذلك . . ستكون ملكاً .

الفصل الثاني

في قصر السيد الملك. قاعة فيها منصة. في قاع المسرح رواق عريض بابه من البلور وسطيحة تطل على الحديقة. الوقت ليل.

ابنة الملك مخفية وقد دفنت نفسها في مقعد كبير ملآن بالوسائد. مرافقتها تتأملها بصمت وتظنها نائمة. تتأهب للخروج وقت وصول كاسكبيل.

المشهد الأول

ابنة الملك ـ المرافقة ـ كاسكبيل

المرافقة: هدوء، ياكاسكبيل! ابنة الملك نائمة.

كاسكبيل: وأنت معها؟

المرافقة: حتى هذه الساعة.

كاسكبيل : ابنة الملك شجاعة . أنا لا أقدر على النوم وأنت قريبة منّي .

المرافقة : ويلك! أنا لا أدري ماذا تنال بسخريتك الآن حيث لا يسمعك أحد . هذا ليس من طبع المهرج .

كاسكبيل : هذه حقيقة كبرى . **(جاداً)** سيدتي المرافقة : هل من خطر يهدد صحة ابنة الملك؟

المرافقة : لاأدري . أنا امرأة جاهلة مسكينة . السيد المربي الذي درس حالتها بدقة ، لايعرف هو أيضاً . لكني مصرة على فكرتي . ابنة الملك مسحورة ياسيد كاسكبيل .

كاسكبيل : إني أشم رائحة خطر .

المرافقة : نعم ، هي مسحورة ، ياسيد . أنا لاأدري كيف حصل ذلك ، لكنه أمر واقع . ربما كان من عمل تلك المرأة التي أهدت إليها برتقالاً . البرتقال خطر .

كاسكبيل : والعجائز أيضاً . وإذا اجتمع الاثنان معاً ، فهنا الطامّة .

المرافقة: في هذه البرتقالات تُخبأ في العادة أشربة، وأكاسير سحرية.

كاسكبيل: أو لم تفكري بشيء آخر؟ لعل ضفدعاً اختبأ في الينبوع. وهذا أمر يحدث كثيراً أيضاً.

المرافقة: ربما، ربما، هذه إحدى الأفكار.

كاسكبيل: يجب أن تفكري ملياً بذلك. ضفدع بدين، عيناه جاحظتان، ويداه ضارعتان. هو الذي يسحر الماء. مارأيك؟

المرافقة: نعم، نعم، هذا صحيح. كان ضفدعاً.

كاسكبيل: رائع، ياسيدتي، قصّي ذلك على السيد المربي. بذلك، سيرجع إلى مائتي ورقة أخرى، ويعثر على وصفات مسلية جداً. **(بغموض)** يمكنك أن تقولي له أيضاً إن هذا الضفدع يحمل سيفاً، وله هيئة طالب من سلامنكا.

المرافقة: كيف؟ أجننت ياكاسكبيل؟

كاسكبيل: بالتأكيد! أعاني قليلاً من الجنون. كل الجنون

الذي يمكن أن يحدث بالقرب منك. سيري!
(تتحرك ابنة الملك في مقعدها وترفع يدها منادية)
سيدتي!... **(المرافقة ترسم إشارة الصليب وتخرج)** سيدتي...

ابنة الملك: كاسكبيل! اقترب، واجلس هنا عندي.

كاسكبيل: **(عند قدميها)** شكراً. كنت أحس بالبرد منذ وقعت مريضة. كيف حالك اليوم؟

ابنة الملك: أفضل. هل انصرفت المرافقة؟

كاسكبيل: خرجت للتوّ.

ابنة الملك: تثير فيّ الخوف هذه المرافقة التي تجهد نفسها في صنع مراهم لي من البلادونا، واللفّاح، وظلف الإيّل. الأفضلُ أن تسمعني سوناتا من نغمك. هيّا احك لي حكاية ياكاسكبيل.

كاسكبيل: حسن! سأقص عليك قصة خوف.

ابنة الملك: لا! قصة خوف، لا.

كاسكبيل: ولم لا؟ لاتخافي. قصص الخوف هي دائماً

هزليات بريئة طيبة، اخترعتها الأمهات لتصبح عيون أبنائهن كبيرة. أأقصّها؟

ابنة الملك: (شبه نائمة) قصها!

كاسكبيل: إذاً، ذات مرة . . . ذات مرة، كان يوجد نهر، نهر أخضر ليس له قلب. وفوق ذلك، كان عابساً جداً، ويشعر بالضيق، لأن الأسماك في داخله كانت تدغدغه. وذات ليلة مقمرة، سقط القمر المدوّر الأبيض في النهر. حينئذ بدا القمر كأنه قلب النهر. وكانت الأسماك تلعب به كما تلعب في جزيرة من جليد. لكن، مرّ من هناك رجل مجلّل بالسواد. فرأى القمر وأكله كأنه قطعة جبن. وابتلع فرح الأسماك الأبيض، بلع قلب النهر. وذلك الرجل كان الشيطان.

ابنة الملك: (صارخة) الشيطان! هذي هي الحكاية! نعم، ياكاسكبيل. كان الشيطان . . . وأكل قلباً.

كاسكبيل: (مفزوعاً) سيدتي!

ابنة الملك: الشيطان، ياكاسكبيل. أتعلم أن الشيطان هنا؟

كاسكبيل: هنا؟

ابنة الملك: نعم، هنا، في هذه المملكة. سمعت ذلك من قصص خدمي. منذ ظهوره، ومملكتنا تسير نحو الخراب. يقال إن هناك وباء، وستقع حرب، وإني مسحورة. والحقيقة هي أني مسحورة من الخوف والحزن.

كاسكبيل: اهدئي، ياسيدتي. أقسم لك أن الشيطان مدهش، وعاجز عن القيام بهذه الفظاعات التي ينسبها إليه خدمك.

ابنة الملك: آي، ياكاسكبيل. يبدو لي أنك لاتؤمن بوجود الشيطان.

كاسكبيل: مهنتي لاتسمح لي بأن أمتلك إيماناً كبيراً. لكن اهدئي. أن شئت فسوف أرى الشيطان وأرجوه ألا يحدث ضوضاء، وأن رأسك يؤلمك. استرحت؟

ابنة الملك: ياه! ليس بي شيء!

المشهد الثاني

المذكوران والمربي

يضع على عينيه نظارة كبيرة بلون الصدف. ويلبس قبعة مضلّعة. ويحمل حلة على ذراعه وكتيباً في يده. تكفي رؤيته لندرك أنه كان ذات مرة عازف عود.

المربي: (داخلاً) معذرة ياسيدتي! هل قاطعتكما؟

ابنة الملك: كلا! كنت على وشك الخروج. أتبحث عني؟

المربي: كنت أبحث عن السيد الملك. وأنت: كيف تجدين نفسك اليوم؟

ابنة الملك: بخير. شكراً لك. السيد الملك ينبغي أن يكون في مقره. بالإذن منك. رافقني ياكاسكبيل.

(تخرج ابنة الملك وكاسكبيل. يدخل السيد الملك. هو ملك فظ وكأنه هارب من ورق لعب إسباني. يتمشى بعصبية، ويخطو صغيرة دقيقة مردداً: «آه» على شكل متكرر، دون أن يفقه شيئاً كالعادة.)

المشهد الثالث

السيد الملك والمربي

الملك: أهلاً بك، أيها المربي!

المربي: سيدي، كنت أبحث عنكم.

الملك: أرأيت ابنتي اليوم؟

المربي: منذ قليل تركتها. صارت أفضل.

الملك: أفضل؟ عظيم! أتعرف شيئاً عن مرضها؟ هل انتهيت من استشارة كتبك؟

المربي: استشرت بارسيلسو بعمق.

الملك: من؟

المربي: بارسيلسو. هو طبيب ياسيدي.

الملك: آه! وماذا قال لك بارسيلسو؟

المربي: لم يقل شيئاً. هو لايعرف شيئاً عن هذه الأمور.

الملك: بالطبع. وماذا بوسع الطبيب أن يعرف؟ فالأطباء لايعرفون شيئاً إلا مانعلمهم إياه نحن المرضى.

المربي: علم التربية، على العكس من . . .

الملك: ماذا يقول علم التربية؟

المربي: علم التربية وأنا متفقان على هذه الحكمة الجوهرية: «ناتورا نون فاسيت سالتوس» «Natura non facit saltus».

الملك: بالإسبانية، أيها السيد المربي! قلت لك مائة مرة إن اللاتينية ستسبب لي مرضاً بالكلية.

المربي: ابنتكم في مرحلة نمو حرجة. «لاتقفز الواحدة من طفلة إلى امرأة». هذا ماتقوله الحكمة.

الملك: آه! لاتقفز . . . **(صمت)** وماعلاقة هذا بموضوعنا؟

المربي: بين عمر وآخر توجد فجوة عجيبة وخطرة. النساء يملأنها عادة بالتأوهات والتثاؤب. يحلمن. ولا يأكلن ويبكين دون سبب، ويزعجن الناس كلهم. هذا مانسميه حباً.

الملك: **(بجفاف)** حب!

المربي: حب في أن نحب.

الملك : حب في أن نحب؟

المربي : أو، ربما، في هذه الحالة : حب الحب . حب رجل معين . وبعد ذلك : «نيهيل فوليتوم كوين بريكوغنيتيوم» «Nihil volitum quin precognit-um» .

الملك : (يثار على شكل رهيب . يضع يديه فوق كليتيه) هيّا، ترجم لي هذا، ياوضيع!

المربي : أقول : «لاشيء يُحبّ دون أن يكون معروفاً من قبل» .

الملك : آه! دون أن يكون معروفاً من قبل! . . . **(صمت)** هذا ماذا يعني؟

المربي : أعني أن ابنتك، يرجح أنها وضعت عينيها على رجل معين .

الملك : أحقاً؟ وهو، أتركها تنظر إليه؟ أوجد نظراتها وقحة؟

المربي : الثابت أن ابنتكم خرجت في بعض الأيام إلى الجبل

دون أن أعرف ذلك، بالطبع : الجبل موبوء بقطاع الطرق، كما تعلم. والمزحة كانت خطرة. لحسن الحظ، لم تلتق بهم؛ لكنها التقت بطالب إسباني شاب. ومنذ ذلك المساء صنعت ابنتك ماكنت أقول لكم: تحلم، لا تأكل، تبكي دون سبب.

الملك : نعم، وتزعج الناس كلهم.

المربي : بالضبط. وأنت الآن قلتها بلسانك.

الملك : **(يتمشى مضطرباً)** إذاً، طالب وإسباني. إليك توصيتين: هوم! **(يتوقف)** لكن، كلا! ابنتي عاجزة عن أن تحب دون إذن مني.

المربي : هكذا . . . فكر ياسيدي، أن الجوّ مهيأ. ابنتك تحس منذ زمن بهذا الحب الغامض في أن نحب، ضحكتها ضحكة عروس، ربما لاحظتم تفضيلها المهرج على مرافقتها، والمطالعات الرديئة على الجيدة. زد على ذلك، فقدت اهتمامها القديم بالمنطق، وهذا أمر يثير الريبة. وعملت على أن تدخل حدائقها نافورات غريبة لها أشكال ملائكة تسكب الماء في أماكن غير متوقعة ومخجلة.

الملك: أهذا ماصنعته؟ ياللشيطان . .

المربي: الأمـــر خطيـــر . ومع ذلك يمكن إيجـــاد حل : «سيميليا ، سيميليبوس كورانتور»(١) «Similia similibus curantur» .

الملك: **(وهو يجأر)** سيميلي . . . ماذا؟

المربي: أزمة المملكة الحالية ترتبط في قسم هام منها بزواج ابنتكم . الملك برتولدو سيقدم مقاطعتين لتكون زوجة له .

الملك: هذا لن يكون أبداً .

المربي: في هذه الحالة ، تبدو الحرب واقعة لامحالة .

الملك: حرب صغيرة أخرى ، الآن؟ هذا ماكان يلزمني ! أشعر بألم في معدتي .

المربي: فكر في الأمر على مهل ياسيدي . قادة جيشك يحتاجونها . منذ عشرة أشهر لايصعد أحد منهم . من جهة أخرى ، الشعب يعاني جوعاً ووباء ،

(١) نظير قولنا : وداوني بالتي كانت هي الداء . **(المترجم)**

ويُخشى من حدوث ثورة. الوباء والجوع لايحتملان وقت السلم. لذلك سيكون من المناسب البحث عن مخرج مطهر لطباع الشعب الرديئة بحمله على الحرب.

الملك: ياللشيطان! هذا صحيح. مخرج مطهر! **(صمت)** اسمع: مخرج مطهر، ماذا يعني؟

المربي: تصريف المشاعر. كاتارسيز[1].

الملك: آي! كاتارسيز. وأخيراً، ماذا بوسعنا أن نعمل؟ جهز لي قراراً صغيراً بالكاتارسيز غداً صباحاً. دون تعقيدات. أسمعت؟

المربي: عذراً، ياسيدي؛ أسمح لنفسي أن أذكركم بأنكم منحتموني إجازة: لاتنسوا أن كبدي تجاري معدتكم بالألم... مع فارق المسافة.

الملك: لكن، ابنتي؟ وشؤون الدولة؟

---

(١) إشارة إلى فكرة أرسطو في أن المأساة تطهر العواطف بإثارة الخوف من الجرم، والعطف على الضحية، والإعجاب بالإحسان. **(المترجم)**

المربي: فكرت في الأمر، وبحثت عن بديل هو محل ثقة كاملة، وسيكون لابنتك منذ اليوم معلم جديد.

الملك: أهو رجل ماهر؟

المربي: وموهوب. حضر لعندي الليلة الفائتة، وأسرني تماماً. إنه طبيب حاذق، ومربٍّ كبير، ودكتور في اللاهوت. شيء بعث به القدر.

الملك: جيد جداً! قدمه لي غداً صباحاً.

المربي: إنه هنا ينتظر إذنكم.

الملك: أفي هذا الوقت؟

المربي: فيه شيء من الغرابة: ضوء النهار يؤذيه. فهو يحب وقت الغسق والليل.

الملك: فليدخل.

المشهد الرابع

المذكوران والشيطان

الشيطان : (يتقدم حين يلفظ السيد الملك كلماته الأخيرة) تحت أوامرك!

المربي: معلم ابنة الملك الجديد.

الملك : (بعد أن ينظر إليه ملياً ويدور حوله) لابأس! طبيب، أليس كذلك؟

الشيطان : طبيب، ياسيدي.

الملك: ودكتور في اللاهوت؟

الشيطان : (بتواضع) مجاز.

الملك: أفترض أن السيد المربي أعطاك بعض التعليمات. الأمور العامة بحالة سيئة. أتسمع؟ الشعب يعاني من الجوع والوباء ويخشى من قيام ثورة.

الشيطان: أوه؛ لاتخش شيئاً، ياسيدي. شعب جائع وموبوء هو كطفل.. يلبس حذاء قديماً.

الملك : (للمربي) أسمعت؟ يعجبني، يعجبني. أين ابنة الملك؟ أريد أن تتعرّف على أستاذها الجديد، هذا اليوم نفسه.

المربي: على الفور. **(يخرج)**

الملك : أمر الحذاء القديم فهمته «على الطاير». أنت تتحدث بموهبة..

الشيطان : سيدي . . .

الملك : اسمع : قيل لي إن ضوء النهار يزعجك.

الشيطان : في الواقع، يبدو لي عنيفاً وفظاً. في النهار تتبدى الأشياء كما هي. أما الليل، ففيه، على نقيض ذلك، فانتازيا، وكذب والتواء. أنا أمقت النور، لذلك سميت مفيستوفليس.

الملك : مفيستوفليس؟ **(قلقاً)** هذه ليست كلمة لاتينية. أليس كذلك؟

الشيطان : لاياسيدي، إنها إغريقية فحسب.

الملك : هوّي، هوّي، هوّي.

المشهد الخامس

المذكوران والمربي وابنة الملك

: **(معرفاً)** سيدتي ابنة الملك. السيد مفيستوفليس، معلمك الجديد.

ن: سيدتي! **(يقبل بلطف يدها التي يحتجزها هنيهة)** غريب! أودعتُ يدك قبلة ولا أفهم كيف وسعتها!

لك: **(مسرورة)** شكراً. أسمعت ياأبي؟ إنه يغازلني. لايبدو مربياً.

: **(ساخراً)** الغزل ليس سيئاً. وإنما هو ضعف مبرر. ومع ذلك يازميلي العزيز، ينبغي لي أن أذكركم أن مهمتكم جدية على شكل عميق. ابنة الملك فيها شيء من الطيش. ويجب عليك أن تعلّمها صيد الفراشات في بساتين الثلاثي والرباعي(١). ولا تغذِّ الأوهام عندها. واذكر تحذير سيليفيوس :

لاثي، حسب المناهج القديمة: علوم النحو والبلاغة والجدل. والرباعي: ،، الموسيقى، الهندسة، والفلك. **(المترجم)**

«إيكوس كورنتيس . . . Equs currentis .

الشيطان: (مكملاً الجملة) «نون أوبوس كالكاريبوس»(١)

«non opus calcaribus»

الملك: (بصرخة كلويّة) لا، هذا لا! ولا كلمة واحدة منه!

الشيطان والمربي: سيدي . . .

الملك: أنا لا أفهم في التربية. لكن عليّ أن أصدر تحذيرين. أولاً: لاعذر للمربين في أن يتكلموا اللاتينية دائماً. من اليوم فصاعداً، تحدثوا هنا كما يتحدث سائر الخلق. مفهوم؟

الشيطان: حقاً أن اللاتينية لغة ميتة.

المربي: إنها لغة مقتولة.

الملك: المعنى نفسه إذا قلنا: «ريكويسكات إن باشي»(٢) «Requiescat in pace». **(يفاجأ بوخزة في كليتيه حين يسمع كلماته ذاتها)**

---

(١) نظير قولنا: إنك لاتجني من الشوك العنب. أو «كنافخ في رماد» (المترجم)

(٢) فليرقد بسلام . . . ، عبارة تكتب على شواهد القبور. (المترجم)

ثانياً: لاعذر لكم أيضاً في أن تضعوا في كتب تربية الأمراء عبارات مثل: «حكومة المملكة؛ سعادة المملكة؛ سخافات المملكة...» أمام ابنة الملك يحظر هذا. لاحاجة بي كي تسمع ابنتي هذه الكلمات السخيفة. هذا أمري... أيها السيد المربي... **(يخرج)**

المربي: تحت أوامرك! **(لكاسكبيل)** انصرف. ياحشري.

كاسكبيل: لن أنصرف. أنا باق.

المربي: لتستمع إلى الدروس؟

كاسكبيل: لن أفعل مادمت حياً، المنطق لايهمني.

المربي: ألا يهمك؟

كاسكبيل: ولا البلاغة أيضاً.

المربي: **(جاداً)** ولا البلاغة؟ آه، يافتى! نهايتك سوف تكون على عود المشنقة.

المشهد السادس

الشيطان وابنة الملك وكاسكبيل

كاسكبيل : (متنحياً إلى جهة) ربما كـانت هذه الدروس جديرة بالاهتمـام . هوم! نعم، المعلم الجـديد له رائحة الخطر . **(يصعد إلى المنصة . يضع التاج على رأسه ويتظاهر بالنوم، لكنه يغمض عيناً واحدة .)**

الشيطان : علمت ياسيدتي أنك مريضة هذه الأيام .

ابنة الملك : أوه! ليس مرضاً خطيراً. لكنه حزن غير مفهوم ومستحيل . لديّ كل مـاأرغب فيـه . لكن، يساورني أحياناً هوس الاعتقاد بأنني تعيسة .

الشيطان : ياه! أمراض أدبية .

ابنة الملك : يبدو أنك لاتأخذ الأمر على محمل الجد . إذاً، لن تصدق قول الناس بأنني مسحورة .

الشيطان : مسحورة؟

ابنة الملك : نعم . ألا تعلم ذلك؟ إنها قصة مشهورة . بعضهم يقول : سحرني ضفدع ، والبعض الآخر ، طالب ، وقسم ثالث الشيطان نفسه .

الشيطان : الشيطان! **(يضحك)**

ابنة الملك : كل شيء جائز . مما تضحك؟ أليس صحيحاً أن الشيطان موجود؟

الشيطان : **(جاداً)** ياابنتي : يدهشني جداً هذا السؤال . الشيطان مؤسسة أساسية وضرورية .

ابنة الملك : كلا! أنا اعتقدت بوجوده دائماً . مهرجي كاسكبيل ينكر ذلك .

الشيطان : مهرجك ياسيدتي ، ملحد . **(كاسكبيل يشخر)** ليس للشيطان هذه القدرة على السحر الذي يُعزى إليه . وكذلك الضفادع ليس لها هذه القدرة . . . ولا الطلاب .

ابنة الملك : ولا الطلاب أيضاً؟

الشيطان : ولا الطلاب . الأسطورة افترضت لكل هذه الكائنات سُمّاً ليس فيها .

ابنة الملك: حين تقول هذا الكلام . . . ومع ذلك ، يحدث لي شيء غريب . معلمي السابق كان يقول إني بدأت أحب .

الشيطان: معلمك مخطيء . لأن النساء يحببن دائماً . غير أن الحب يكون أحياناً في داخلهن على شكل غير منظور ، كالماء الصافي في الوعاء .

ابنة الملك: أحقاً؟

الشيطان: معلمك يريد أن يقول إن شيئاً ما حدث فأثار فجأة ذلك الحب الكامن في داخلك .

ابنة الملك: عرفت ! كم تتغلغل داخل نفسي ! أشعر بقربك كأنني بحضرة كاهن الاعتراف . **(تبتسم)** لاتخشَ شيئاً . لم أرتكب إلا خطيئات صغيرات .

الشيطان: **(بصراحة)** آسف لذلك ! الخطيئة الصغيرة لا أهمية لها ، وليس لها عموماً أية قيمة تربوية .

ابنة الملك: لكن ، ليس في ذهني الآن إلا أن أحدثك عن الحب .

الشيطان : على كل حال ، في الحب تكمن خطيئة قاتلة .

ابنة الملك : خطيئة واحدة فقط؟

الشيطان : واحدة . إنها القبلة الأولى .

ابنة الملك : ولم هي قاتلة القبلة الأولى؟

الشيطان : لأنها تجعل القبل الأخرى لامعنى لها .

ابنة الملك : أوه! . . . أنت تتحدث عن الحب بثقة كبرى . يبدو أنك أحببت كثيراً .

الشيطان : كثيراً . . . ومرة واحدة فقط .

ابنة الملك : أوه! احك لي قصة هذا الحب . ما أمتعها! مرة واحدة فقط!

الشيطان : هي قصة قديمة ، ستجد شاعرها ذات يوم . لكني لا أريد أن أتذكرها .

ابنة الملك : فكر أنك وعدتني بها تقريباً . هيا : إني أستمع .

الشيطان : ليكن! **(بعد تفكير صامت)** القصة جرت في ألمانيا ، حين كنت رجلاً رائق المزاج ، وألهو مع

الطلاب والسكارى في حانات لايبزيغ. كانت هي فتاة فقيرة تدعى مرغريتا. كانت تغنّي أغنية ملك تولي وهي تغزل. وكانت تحلم ببيت وبستان في الجبل. مرغريتا... كانت كئيبة وغضة في آن واحد كمساء ماطر. أوه! من لايعرف كم كنت أحب تلك المرأة، لايستطيع أبداً أن يفهم ماجرى بعد ذلك. أحبت الدكتور فاوست؛ وكان هذا نذلاً وجباناً. وذلت ليلة قال لها في الحديقة أن تكرهني. وسمعتها تردد ذلك في داخلها بشفتيها المحبوبتين. ورأيتهما يتبادلان القبل بين الورود.

(كاسكبيل يشخر بقوة. الشيطان يتمالك نفسه)

معذرة ياسيدتي. هذا مزعج.

ابنة الملك: أبداً! تابع. ماذا حدث بعدئذ.

الشيطان: ماحدث بعدئذ: مبارزة أخيها، موت الطفل، اتهامها أمام القضاء. لم يكن ذلك حباً؛ بل كان يأساً أثارته الغيرة.

ابنة الملك: لكنها... هي؟ مرغريتا؟

الشيطان : هي كانت تبغضني . قلت لك ذلك . كانت تبغضني لأنها كانت تخاف .

ابنة الملك : أيحدث بغض بسبب الخوف؟

الشيطان : دائماً . البغض وسيلة للدفاع عن النفس .

ابنة الملك : (مهمومة) ربما ، ربما . **(صمت)** قل لي : أتظن أنني قادرة على البغض؟

الشيطان : ولم لا؟ أنت ضعيفة .

ابنة الملك : وعلى القتل ، ربما؟

الشيطان : ربما .

ابنة الملك : هذا رهيب . أليس كذلك؟ لكنك على صواب : أنا هلوعة .

الشيطان : ومن تبغضين؟

ابنة الملك : (خائفة من كلماتها ذاتها) الشيطان !

الشيطان : سيدتي ! **(يتماسك)**، مرغريتا كانت تبغضه أيضاً .

ابنة الملك : ينتابني خوف منه . وهو يلاحقني حتى هنا في

مملكتي، وأراه في الأحلام. له قرنا ورِجْلا ماعز، وذيل طويل، طويل. **(تسمع في الحديقة صفرة غريبة)** أوه، إنه هنا! **(تحتضنه)** أنقذني!

الشيطان: (على شكل أبوي) اهدئي يابنيتي.

ابنة الملك: سيأكل قلبي!

الشيطان: لاتخافي. إن كان شيطاناً، فسوف يغوي شخصاً آخر يأكل من الثمرة. تلك عادته.

ابنة الملك: ماذا سيكون هذا الصفير؟

الشيطان: لاشيء. إنها الضفادع.

ابنة الملك: معذرة! إني فزعة حتى السخف. ومع ذلك، يوحي إلي الخوف نفسه أحياناً أفكاراً بطولية. ليتك ترى ماكنت أخطط هذا اليوم!

الشيطان: ماذا؟

ابنة الملك: أتساعدني؟

الشيطان: بروحي كلها. ماذا تخططين؟

ابنة الملك: أن نقتل الشيطان!

الشيطان : (بعد أن فكّر في الأمر) هذا صعب! يجب أن تعلمي ياسيدتي أن قتل الشيطان ممكن بسلاح واحد فقط : بخنجره ذاته .

ابنة الملك : وما هذا الخنجر؟

الشيطان : إنه تحفة فنية صنعها بنفسه : شفرته من فضة؛ وعلى المقبض صليب من ياقوت .

ابنة الملك : لكن، أين هو؟ هو عنده بالطبع .

الشيطان : كلا! هذا الخنجر عند طالب إسباني؛ وهو اليوم رئيس عصابة من قطاع الطرق في مملكتكم .

ابنة الملك : عجباً! طالب وإسباني، تقول؟

الشيطان : إن لم أخطىء كثيراً، هو طالب من سلامنكا .

ابنة الملك : أوه! إنه هو!

الشيطان : هو؟ من هذا؟

ابنة الملك : لا، لاشيء. معذرة. أنا لا أدري ماأقول. رأسي يلتهب. **(تسمع صفرة من جديد)** مرة أخرى! . . أتسمع؟ تبدو أنها إشارة .

الشيطان : خيالك يخدعك. ربما كنت محمومة. تعالي .

(يفتح باب البلور. على السطحية يسطع القمر)
رطوبة الليل ستجعلك أحسن حالاً.

ابنة الملك: شكراً لك! **(تخرج إلى السطحية)** ماأجمل هذا الليل! القمر بدر تمام ومنخفض جداً حتى يمكنه أن يبث الدفء في الأيدي. **(تمد ذراعيها إلى النور)**

الشيطان: **(يعود خلسة إلى المسرح)** ياالله! ما أعجل هذا الفتى، قاطع الطريق!..
(لكاسكبيل) نم أنت. حسن ياصديقي الشيطان. إنك تعمل كعادتك دائماً: لذة الإغواء لك، والثمرة للآخرين. **(يتنصّت إلى ابنة الملك)** إنه الوقت الملائم. **(ينزلق ويخرج خلال هذا المونولوج القصير. تأخذ ابنة الملك تقول مايلي، وتدخل إلى المسرح وقت خروج الشيطان)**.

ابنة الملك: لكن، ألا ترى ظلاً غريباً هنا؟ يبدو أنه يتحرك. نعم إنه يتجه إلى هنا. ألا تراه؟ **(حين تنتبه إلى أنها وحيدة)** من هناك؟ كاسكبيل! **(كاسكبيل يشخر. يطل الطالب على السطحية مرتدياً زي قاطع طريق. يتسلق بمهارة ويقفز على المسرح. ابنة الملك تخنق صرخة)**.

المشهد السابع

ابنة الملك والطالب ، كاسكبيل نائم

الطالب: طاب ليلك ياسيدتي . سامحيني إذ حضرت على هذا النحو . لا وقت لديّ لأتزيّن .

ابن الملك: أنت!

الطالب: أنا صديق ، لاتفزعي .

ابنة الملك: لكن ، ماذا تريد؟ ولأي شيء أتيت؟

الطالب: لأجلب شيئاً فقدته ذلك اليوم في الجبل ؛ وأبحث عن شيء آخر فقدته أنا .

ابنة الملك: ماذا تجلب؟

الطالب: هذا المنديل .

ابنة الملك: وعمّا جئت تبحث؟

الطالب: عن قبلة!

ابنة الملك: **(تتراجع)** أوه! . . .

الطالب: أريدها فوراً، ياسيدتي. وسامحيني إذ أستعجلك. فليس لدي إلا وقت ضئيل جداً.

ابنة الملك: أنت تطلب الأشياء، بطريقة!

الطالب: لا أملك طريقة أخرى. فلست أدري إن كنت سأموت غداً. قبلة!

ابنة الملك: بحق الله، دعني أفكر في الأمر ولو دقيقة.

الطالب: مستحيل. ليس لديّ وقت. فلربما رآني جنودكم وأنا داخل. فإذا صح ذلك فسيصعدون راكضين على السلم. وعليّ أن أنتهز هذه الفرصة، لأعود فأخرج من حيث دخلت. قبلة واحدة!

ابنة الملك: أتعلم أن القبلة الأولى قاتلة؟

الطالب: أمر سنفكر فيه، لكن، ليس لدي وقت.

ابنة الملك: سيدي القائد...

الطالب: أتتركينني أذهب دونها؟

ابنة الملك: أوه! هذا لن يكون أبداً.

الطالب: **(مقترباً منها)** إذاً...

ابنة الملك : كلا! معذرة! . . . أنا لا أدري ما أقول .

الطالب : قبلة!

ابنة الملك : من فضلك ، أشفق عليّ . أنا مريضة .

الطالب : **(ممسكاً بيديها)** حقاً . . . يداك باردتان . تعالي واجلسي .

ابنة الملك : **(بضعف)** شكراً . . . .

الطالب : أنت ترتعـــــدين . . . هكذا . . . هكذا . . . (يغطيها)

ابنة الملك : شكراً لك .

الطالب : ضعي ذراعك هنا . . . **(يسندها بوسائد)** ياللبنت المسكينة! . . **(يقبلها طويلاً)**

ابنة الملك : شكراً . **(يتأملها الطالب برهة . يسمع في الحديقة إنذار الحرس . يلتفت مذعوراً)** أذاهب؟

الطالب : نعم!

ابنة الملك : الآن؟

الطالب : إنهم قادمون .

ابنة الملك : ألم تعثر أيضاً على عقد فقدته؟

الطالب : سأعود به .

ابنة الملك : أيها القائد . . . **(تمد له ذراعيها)**

الطالب : (يتعطف زائف) ليس لدي وقت . **(يهرب عبر الحديقة ويختفي)**

ابنة الملك : هؤلاء الحراس . . . **(تخرج إلى السطحية)** لقد اجتاز الحديقة . . . وقفز . **(تلوح له بالمنديل مودعة)** لقد ذهب . **(تعود إلى المسرح بينما يتردد صوت صافرات الإنذار بعيداً)** .

المشهد الثامن

ابنة الملك ، الشيطان ، والمرافقة ، كاسكيل نائماً

الشيطان : (يدخل تتبعه المرافقة) اعذريني ياسيدتي ، إذ تركتك لحظة .

ابنة الملك : ياإلهي!

الشيطان : خرجت لأطلب لك كأساً من الماء . يبدو أنك لست على مايرام .

المرافقة : يمكنك أن تشربي دون حذر . . . إنه ماء عادي .

الشيطان : أحدث لك شيء؟

ابنة الملك : سيدي الأستاذ . . . وقعت في الخطيئة القاتلة!

الشيطان : أحقاً؟ ساعة سعد ، يابنيتي . خطيئة قاتلة ستلمع في دنيا صباك كالجوهرة .

ابنة الملك : لاتسخر مني . . . أنا لم أقبّل!

الشيطان : إذاً؟

ابنة الملك : لا أدري . أنا بحاجة لطمأنة ضميري . رافقني إلى المصلّى!

الشيطان : **(محرجاً)** سيدتي ، أنا . . .

ابنة الملك : لاتتركني مرة أخرى .

الشيطان : لن أتركك أبداً . . لكن ، أنا ، أذهب إلى المصلى!!

ابنة الملك: أرجوك، خذ بيدي. . . الصلاة تهدىء من روعي.

الشيطان: في هذه الحالة. . . **(يمد لها ذراعه)** هيا بنا!

ابنة الملك: لم أقبل. . . أقسم لك لست أنا من قبّل **(يخرجان)**

المشهد التاسع

المرافقة وكاسكبيل

المرافقة: (وهي تنظر إليهما ذاهبين) الماء. . .

كاسكبيل: (ينهض وهو يبرق بالخبث) هنا. الماء هنا. **(يشرب)** رائع!

المرافقة: (وهي تنظر إليهما ذاهبين) الماء. . .

كاسكبيل: (ينهض وهو يبرق بالخبث) هنا. الماء هنا. **(يشرب)** رائع!

المرافقة: أكنت نائماً؟

كاسكبيل: نعم، ياسيدتي، كنت نائماً. ورأيت في نومي أشياء موحية جداً. غداً سأكتب حلمي، وسأضعه بصيغة نشيد رومانسي. ماأجمل هذا النفاق! كو-كو-كو-كو.

المرفقة: ما الذي تقوله ياكاسكبيل؟

كاسكبيل: الماء! **(يرفع التاج ويقوم بالدوران)** صعد الماء إلى رأسي. **(يغني ويخفي الورقة)**

سيدتي المرافقة، اتركي عمل الصوف والكتان.

وسرحي خيوط الذهب والحرير لفستان العروس

من أجل العرس، من أجل العرس!

ابنة الملك بردانة

خمسة عشر عاماً تنام وحيدة.

منها خطف القائد قبلة

أول جوهرة سرقها.

في برج الأجراس، يقبع الشيطان

إنه يدق أجراس الشكر.

المرافقة : (ترسم إشارة الصليب) يارب!

كاسكبيل : إلى العرس، إلى العرس!

مرافقة، سنصل متأخرين

أسرجي لي مكنسة.

المشهد العاشر

المذكوران والسيد الملك داخلا

الملك : السيد مفستوفليس؟

كاسكبيل : (فترة صمت).. سكوت!

الملك : (مدهوشاً، بصوت خفيض) السيد مفستوفليس...؟

كاسكبيل : هس!... **(جاداً)** السيد مفستوفليس... يصلي.

ستار

الفصل الثالث

في نزل الديك الأبيض . طابق أرضي له باب قوي على الشارع ونافذة على الحقل . مدفأة حائط على شكل جرس . إلى الجانب سلم يقود إلى الغرف العليا . الأثاث ذو لون غامق زيتوني يشير فكرة دير قديم أُعدَّ ليكون استراحة . قوس ، مقعد ذو ذراعين مثنيين ، وبعض الكراسي دون مساند . الوقت ليل .

المشهد الأول

صاحب النزل وكلوتالدو وبالدوبينوس . ثم قارفان .

انتهى العشاء . يصعد رجال العصابة السلم الجانبي ثم يختفون . يرفع صاحب النزل أغطية المائدة وهو يدندن من بين أسنانه لحناً طلابياً لاهياً . كلوتالدو وبالدوبينوس جالسان تحت الضوء يقرآن كتاباً .

صاحب النزل: «غاودياموس آجيتور، ايوبينيس دوم سوموس» «Gaudeamus agitur, iuvenes dum sumus»[1] **(يسمع قرعاً على الباب)** ياربي، جني شرير جاء بمن يدق!

بالدوبينوس: لابد من أن يكون القائد!

صاحب النزل: لاأظن. هذا قرع نبي أصغر، إذا حكمنا من عنف الدق. (قرع من جديد) حاضر! (يفتح)

فارفان: **(يدخل وهو ينفخ في أصابعه ويلعن)** ياأنوار الله، أين تختبئون؟

صاحب النزل: ياسيدي، خرجت في الحال.

فارفان: طاب ليلكم!

بلدوبينوس: **(يعود إلى قراءته)** طاب ليلك!

فارفان: أغلق الباب، يامجرم! البرد يقص المسمار!

صاحب النزل: وتمطر كما يبدو. معطفك مبلل.

---

(١) لنبتهج إذاً، مادمنا في سن الشباب. **(المترجم)**

فارفان: لاشيء منه، وإنما هو ندى الغـابة. لكن روحي مبللة.

صاحب النزل: لابأس، ياسسيد فارفان، حلمك علينا. لايوجد داع للتجديف.

فارفان: معذرة، ياسيدي الكاهن.

صاحب النزل: أوه، بحق الله . . .

فارفان: بحق ذيل إبليس!

صاحب النزل: بحق الذيل، لكن لاتغضب!

فارفان: أيوجد شيء آكله؟

صاحب النزل: يوجد شيء: بقيت بقايا من لحم مشوي فاخر. لقمة صغيرة، لقمة كاردينال.

فارفان: طعام فاتيكاني.

صاحب النزل: يمكنك أن ترفقه بجبن ماعز جيد، وشيء يسير من خمر ضعيف، لكنه مقبول.

فارفان: ليكن! **(لبالدوبيتوس)** ألم يصل القائد؟

بالدبينوس: لم يصل.

فارفان: لعله ينظم أشعاراً، أو يحلم في ضوء القمر. والرفاق؟

بالدوبينوس: فوق. هم سكارى.

فارفان: برجوازيون! ويريدون أن ينالوا سمعة حسنة! نحن متعفنون. **(لصاحب النزل الذي يقدم له الطعام)** أتسمعني؟

صاحب النزل: عفواً، ماذا قلت؟

فارفان: أقول: نحن متعفنون.

صاحب النزل: آه! نعم. متعفنون تماماً... لحم موزات مشوي.

فارفان: يجب علينا أن نحدد موقفنا مرة واحدة: إما نحن رجال عصابة أو مثقفون.

صاحب النزل: بالطبع، بالطبع... الجبن.

فارفان: فإذا كنا رجال عصابة واعين: ماذا ننتظر؟ يجب أن نعود إلى القانون النقابي.

صاحب النزل: حقاً، يجب أن تعودوا . . الخمر.

فارفان: وأن نشكل رئاسة نقابية، ونقوم بإصلاح التشريع وتنظيم هذا الاقتصاد بأسرع مايمكن. هذا هو برنامجي.

صاحب النزل: رائع، واللحم كيف حاله؟

فارفان: بارد وقاس. أنا لدي، ياصديقي العزيز، أفكار عن الاقتصاد السياسي. مثلاً، النظام النقدي الحالي مستحيل. يجب تبني نظام النقد المعدني الواحد.

صاحب النزل: نظام معدني موحد.

فارفان: نقد موحد ذهبي، دون نقاش. مخجلة هذه الكمية من النقود الرخيصة التي نحصل عليها.

صاحب النزل: حقاً، حقاً، والخمر؟

فارفان: له طعم جلد خبيث. **(يتلمظ بلسانه، ويمسح فمه بيده)** يبدو لي ياعزيزي، أنك تسرقنا.

صاحب النزل: بحق الله! دعك من هذه النكتة!

فارفان : كلا! يبدو لي أمراً طبيعياً أن يقترف صاحب نزل سرقات صغيرة . لكننا نحن! توجد أمور لا يمكن لقاطع طريق جاد أن يراها دون أن يحمر خجلاً . أتعلم مافعله رفيقان من رفاقي البارحة؟

صاحب النزل : ماذا فعلا؟

فارفان : سرقا دجاجة! إنهم برجوازيون .

صاحب النزل : لابأس عليك ، ياسيد فارفان . لستَ في مزاج طيب هذه الليلة .

فارفان : كيف أكون في مزاج طيب! قاطع طريق لاينبغي أن يكون في مستوى ثعلبة . أفترض أن الجميع هنا متشابهون . انظر إلى هذين . أهي مدرسة كنسية؟

صاحب النزل : وماذا سيفعل هؤلاء المساكين؟

فارفان : فليلعبوا بورق اللعب . أو ليقرؤوا ، على الأقل ، شيئاً مفيداً . لكن ، ماضرهم لو كان بهم ميل إلى الفتيات . حقاً . حقاً . اسمع ، أنت ياكلوتالدو : ماذا تقرأ؟

كلوتالدو : «علم النحو» لنبريخا . إنها رواية إسبانية .

فارفان: أترى؟ وأنت يابالدوبينوس؟

بالدوبينوس: لاشيء ، القانون الجزائي . **(يضع الكتاب على المدفأة ويتوجه لينضم إليهم)** كنت أتصفح فصل عقوبة الإعدام . أمر مفرح ! **(يشرب . صاحب النزل يجمع بقايا الطعام وينظف)** أكنت اليوم في المدينة؟

فارفان: منها جئت .

بلدوبينوس: ماذا؟ أهناك شيء جديد؟ أيتحدث الناس عنا؟

فارفان: ها! الناس مشغولون الآن بأمور أخرى . ألا تعلم آخر خبر؟

بالدوبينوس: لا أعلم شيئاً .

فارفان: هو أمر طريف : الشعب والبلاط في حالة حصار . يقال إن الشيطان يتجول في بلادنا طليقاً .

صاحب النزل: بحق الأناجيل الأربعة ، أتقول الشيطان؟

فارفان: الشسيطان بشسخصه . ويعزى إليه كل أنواع المصائب : الجوع ، واقتراب الحرب ، والسحر الذي أصاب ابنة الملك . وما أدراني أنا!

صاحب النزل: ياإلهي الكريم! **(يرسم إشارة الصليب)**

بالدوبينوس: اسمع . هذا شيء هام . لكن ، أيوجد شيء مؤكد في هذا؟

فارفان: سيوجد . من جهتي لا أومن بالشيطان . أن تكون ابنة الملك مسسحورة ، لايدهشني . إنها عازب . الجوع . . . هو مرحلة من مراحل الإنتاج . أما الحرب المحتملة ، فالملك المترمل عجوز أكثر مما ينبغي ، فلا يثير احترام جيرانه .

بالدوبينوس: بالنسبة لنا ، هي مناسبة ثمينة . في نهر عكر . . .

فارفان: نعم ، نعم ، مع القائد الجديد ، لن نسرق دجاجاً .

بالدبينوس: والسيد الملك ، ماذا يقول عن هذا كله؟ أتوجد استعدادات؟

فارفان: وما كان ينقصه غير هذا. السيد الملك رأى الأمر جاداً، وراح يبحث عن مخرج مشرف. ماذا تتخيل ماخطر له؟

بالدويينوس: ماذا؟

فارفان: سيدي الملك المحبوب جداً عرض التاج ويد ابنته على من يقتل الشيطان. وأعلن عنه اليوم المنادون نافخين في الأبواق. ماذا يبدو لك؟

بالدويينوس: قتل الشيطان: والله، لن يكون أمراً سهلاً.

فارفان: ياعزيزي، هنا تجد مشروعاً شجاعاً. أنت تؤمن بهذه الترهات، وتستطيع أن تقوم بذلك.

بالدويينوس: أنا؟

فارفان: بسيطة جداً! تخرج إلى أحد مفارق الدروب. وتستدعيه على شكل طقسي، وحين يظهر تطلق عليه طلقة. صفقة رابحة. وإليك الصيغة: **(يعمل مايقوله)** تخطّ دائرة في الأرض. وتدخل داخلها بقدمك اليسرى. وتقول غيباً: «شيطان،

ياشيطان، ياسيد الحياة والأرض . . . ياشيطان!»
(يسمع قرع قوي على الباب) أعوذ بالله!

صاحب النزل: حاضر. ر. . ر. . ر. . ر. . **(ينعقد صوته)**
ياسيد فارفان: هاهو الشيطان قد حضر!

فارفان: افتح. **(بالدوبينوس يقبض على بندقيته)**

صاحب النزل: أنا؟ مصيبة! **(يصلي على شكل عصبي وطفولي)** سريري له أربعة قوائم، أربعة ملائكة ترافقني فيه.

فارفان: هيا؛ تقدم! **(يفتح. يظهر الطالب)** بالأمر، سيدي القائد.

المشهد الثاني

المذكورون والطالب

الطالب: سلام، أيها الفتيان.

كلوتالدو: تحت أمرك!

بالدوبينوس: تحت أمرك!

الطالب: هل من جديد؟

كلوتالدو: لاشيء جديد.

الطالب: والآخرون؟

بالدبينوس: إنهم فوق.

الطالب: تمام! باستطاعتكم الانسحاب أنتم أيضاً.

كلوتالدو: معذرة، أيها القائد، نحن نقوم بالحراسة.

الطالب: لالزوم لها. سأبقى وحدي. انصرفوا.

الثلاثة: سمعاً وطاعة! **(يخرجون)**

صاحب النزل: أتريد أن تتعشى شيئاً؟

الطالب: شكراً. أريد أن أبقى وحيداً.

صاحب النزل: أصبحت بخير! **(يخرج صاحب النزل.**

يخلع الطالب رداءه، ويلقي بسلاحه متكلماً من بين أسنانه)

المشهد الثالث

الطالب والشيطان

الشيطان: (يدخل عبر المدخنة) سلام عليك، سيدي القائد.

الطالب: هذا أنت! ياسعادة من رآك. من أين دخلت؟

الشيطان: من المدخنة.

الطالب: خير، يارجل. يبدو لي أنك كنت تستطيع الدخول من الباب بيسر كبير.

الشيطان: دون شك. لكن، ماذا تريد؟ هو شيء من غرور الشيطان.

الطالب: ظننت أني لن أراك مرة أخرى.

الشيطان: يابني، مهمة المربّي الوحيد تتطلب اهتماماً

كبيراً . زد على ذلك ، لديّ، في الحقيقة ، قليل من الأنانية . الحياة في القصر جيدة .

الطالب : أعتقد ذلك .

الشيطان : لو رأيت ما ألقاه من رعاية! أُعامل كأنني فرد من العائلة .

الطالب : لكن ، ماذا عنها؟ قل! كيف حالها؟ ماذا تقول؟

الشيطان : من؟

الطالب : ابنة الملك .

الشيطان : آه ، جيدة جداً . أتقنت الحلقة الثالثة من الصرف .

الطالب : فلتذهب إلى سواء الجحيم .

الشيطان : سأذهب؛ لكن دون عجل . في الوقت الحاضر ، أنا مسرور جداً في الأرض . **(يجلس في النور)** آي ، ياصديقي العزيز . هذه الأيام التي قضيتها في القصر أعادت إليّ مرحي وشبابي . الحركة الدائبة ،

والتجول، وحبك مؤامرات وتعقيد ماهو بسيط على شكل غبي: هذه هي لذتي. وكل هذا يصنع في القصر بألف أعجوبة. **(يتمشى الطالب متكدراً)** بالتأكيد، لاشيء يلائم حياة الشيطان كالعيش في البلاط. فالملكية وأنا لدينا مبدأ جمالي واحد: نحن من طراز باروكي.

الطالب: آمل ألا تكون أتيت لتقص علي خرافات.

الشيطان: كل شيء سيكون على مايرام. والآن. دعني استرح. جئت من المدينة ماشياً. والبرد مخيف. أنا معتاد على مناخ آخر. **(يقترب أكثر من النار)** هنا، الوضع أفضل.

الطالب: أوصلت دون عثرات؟

الشيطان: لاتظن ذلك. حتى أني لم أر في اللوحة اسم الديك الأبيض فحسبت أني ضللت الطريق. هذا النزل له من الخارج مظهر دير بأبراج أجراس، وغير ذلك.

الطالب : كان ديراً . ومنذ عدة أعوام حلّت جماعة الدير . وظل فيه أحد الإخوة القدماء ، وحوّله إلى نزل ، وهو صاحبه الحالي .

الشيطان : وصاحب النزل هذا ، أليس لديه شيء محترم يمكن أن تقدمه لي؟

الطالب : (منادياً) ياصاحب النزل!

صاحب النزل : (من الداخل) حاضر!

الطالب : جرة من الخمر الفاخر . وعجّل بها . **(للشيطان)** ألا يوجد إشكال بأن يراك أحد هنا؟

الشيطان : ولامشكلة . في هذه المملكة لايعرفني أحد .

الطالب : ومع ذلك ، أنت في هذه الأيام ، نجم الساعة . وأحذرك أن لك سحنة مميزة لاتختلط على أحد .

الشيطان : لاتصدق ذلك . أنت تعرفني فوراً ، ذلك بأنك إسباني . في بلدك ، أنا تقريباً مادة دراسية .

المشهد الرابع

المذكوران وصاحب النزل

صاحب النزل: (داخلاً) خمر معتق لاعيب فيه. خمر أقدمه، ياسيدي، للأصدقاء.

الطالب: (يقدمه) أكبر لص وأعظم ملاك بين أصحاب الفنادق. هذا الرجل الذي تراه أمامك، هو مفارقة حية: كان راهباً قبل أن يصبح طباخاً.

الشيطان: (ينهض باحترام) هذا السيد كان راهباً؟ يسرني.

صاحب النزل: شكراً ياسيدي. **(ينظر إليه بقلق راسماً إشارة الصليب على شكل خفي)**

الشيطان: (يضحك) لابأس. لايزال يوجد من يتذكرني. **(يرفع كأسه)** لنشرب نخب قائد العصابة الجديد...

الطالب: كلا! لنشرب نخب القائد القديم. كان ملاكاً. **(يشربان)** في هذه الأيام، صار رجلاً شريفاً.

الشيطان: المسكين لم يحالفه حظٌ كبير.

الطالب: الحقيقة أننا لعبنا معه لعبة خبيثة. ماكنت أعتقد

أبداً أن أغتصب مركزه بهذه السهولة. كان الفتيان معجبين به حقاً؛ لكن ذَهَبَ جيبك يفعل المعجزات.

الشيطان: أنت تطلق على كل شيء معجزة. الناس يحبون دائماً أن يغيروا أسيادهم. ذلك يمنحهم إحساساً بالحرية.... **(يصب الطالب مرة أخرى ويشربان)**

الطالب: حسن! والآن، أتريد أن تقول لي ماذا يجري في القصر؟

الشيطان: الآن، نعم. القصر، سيدي الطالب، يسوده ذعر كبير. الموقف شائك حقاً. هناك وباء وهناك جوع؛ والملك برتولدو على أهبة إعلان الحرب. الشعب ينسب إلي كل هذه الشرور. أي، إلى الشيطان. أنا مجهول هنا.

الطالب: حسن، لكن أنت...

الشيطان: أنت تعلم أني لم أصنع شيئاً من هذا. لكنني أفيد من المناسبة. لأنها تتبدى لي ملائمة. في الوقت الحالي، استطعت بوسائلي أن أجعل الشعب يأمل

بوصول ملك شاب، مقاتل ومحب. أما بالنسبة لسيدتي ابنة الملك . . .

الطالب : ماذا عنها، قل؟

الشيطان : سيدتي ابنة الملك، يبدو أنها صممت على الزواج.

الطالب : زواج؟ بمن؟

الشيطان : آه! لست أدري. أرجح بك.

الطالب : **(جاداً)** لتتكلم بجد، ياصديقي الشيطان.

الشيطان : بجد. ألم تسمع النداء الذي أمر بإذاعته السيد الملك؟

الطالب : بلى، سمعت المنادين ينادون به.

الشيطان : إذاً، فيه يعرض التاج ويد ابنته لمن يقتل الشيطان.

الطالب : أفترض هذا النداء كان بإيحاء منك.

الشيطان : أنت مخطيء. هذا النداء أملته ابنة الملك نفسها.

الطالب : هي؟

الشيطان: أملته وهي تفكر فيك. ابنة الملك تعاني من

نوبات أدبية. آخر نوبة أوحت لها بالفكرة الغريبة بأن تضحي بنفسها لإنقاذ المملكة. وإذْ زعموا أن ضياع المملكة بالجوع والوباء والحرب من تدبيري، فقد قدمت الأميرة يدها لمن يقتلني. الأمر واضح. **(صمت)** اسمع: هل أنت قادر على قتلي؟

الطالب: دعنا من اللعب.

الشيطان: إن كان قتلي يهبك المملكة، ويوصلك إلى ابنة الملك، فهل تقدر على قتلي؟

الطالب: دعني من هذا.

الشيطان: إن هي طلبت منك ذلك، أتكون قادراً؟

الطالب: إن هي طالبت ذلك، نعم.

الشيطان: حقاً؟

الطالب: أقسم لك بخلاص روحي.

الشيطان: كفى! إني أصدقك. وأنا أرجح جداً أن تطلب منك ذلك... **(يخرج خنجره)** أخيراً، إن وقع الأمر، أريد أن أهدي إليك هذه الجوهرة. ابنة الملك تعتقد أن الخنجر الوحيد القادر على قتلي:

هو خنجري . **(بغرور)** هو عمل فني . سيدي الطالب! صنعته بنفسي ؛ وأقسم لك إني لم أبذل جهداً كبيراً لإغواء فتاة غريرة . **(يعرضه له في الضوء)**

الطالب : جوهرة جميلة!

الشيطان : خذه . ابنة الملك ، والسيد المللك ، والمربي لديهم وصف دقيق عنه .

الطالب : (يضعه على المنضدة) أيها السيد الشيطان لنختتم الأمر على خير . أتريد أن تقول لي ماذا تعني قصة هذا الخنجر؟

الشيطان : أتذكر أنك أشهرت عليّ سيفك ذات مساء؟

الطالب : كانت لحظة غضب . لكني أعلم جيداً أنك لاتُقتل بالحديد .

الشيطان : حقاً . ماكنت أتوقع منك أقل من ذلك . الشيطان لايقتل بهذا ، ولا بأي خنجر آخر . وإنما يخنق الشيطان ، يخنق الشيطان في داخل المرء . أتفهم؟

الطالب : نصف فهم

الشيطان : لابأس . إن كنت قوياً فسوف تفهمني غداً فهماً كاملاً . احتفظ ، احتفظ بهذا الخنجر .

الطالب: ولأي شيء ، إذا كان لايفيدني في قتلك؟

الشيطان : لكنه سيفيدك ، كي يُعلم أنك قتلتني ؛ لأنه سيتخضب بالدم هذا اليوم .

الطالب : آه، هو رمز؟

الشيطان : رمز ضروري . أنتم البشر ، لاتعرفون أن تعيشوا دون تطلع جمالي ؛ لاتفهمون حق الفهم إلا مايدخل عبر العيون . وإذْ كان علينا أن نتفاهم بطريقة أخرى . . . **(يخلع قفازه ليصب الخمر . . . يشرب)** إلى ماذا تنظر؟

الطالب : خاتمك طريف . . . أهو من الجمشت؟

الشيطان: من الجمشت ، وفيه أحفظ أشربتي السحرية .

الطالب: هو أيضاً درة جميلة .

الشيطان : رمز آخر . أنا أستطيع أن أسحر بالإرادة وحدها . ومع ذلك ، أنا أسحر بني البشر دائماً بالمخدرات والأشربة التي أحملها في خاتمي كالسم . ألا تشرب؟

الطالب : كلا!

الشيطان : أراك مشغول البال .

الطالب : لا أدري لماذا أتصور أنك استخدمت هذا الخاتم في القصر .

الشيطان : لماذا تشتبه بذلك؟

الطالب : يقال إن ابنة الملك مسحورة . ألست الفاعل؟

الشيطان : أنا؟ سامحني الله . بل أنت نفسك قمت بذلك . **(يضحك)** أحذرك بأن القبلة الأولى قاتلة .

الطالب : تلك القبلة! ما أشد اضطرامها في ذاكرتي! لأني لم أقتنصها ؛ ولم احصل عليها بنفسي . وإنما أدين بيها إلى ألاعيبك الشريرة . **(يخفي رأسه بين ذراعيه)**

الشيطان : وماذا يهم كيفما حصلت عليها ، مادمت قد حصلت عليها .

الطالب : حصلت عليها ، نعم . لكني لم أكسبها .

الشيطان : ماكنت تفكر هكذا أول يوم .

الطالب : حينئذ ماكنت أحببتها بعد .

الشيطان : أراك تسير في الطريق الخاطىء يافتى . غرورك يستيقظ داخلك . على كل حال ، وعدتك أن أصنع لك خيراً . ولن أقف حتى تحصل عليه . اسمع مني نصيحة أخيرة : المغامرة والمجد ينتظرانك . فإذا اعترضتك امرأة في الطريق ، فلا تضع وقتك : خذها ، وتقدم .

الطالب : ماذا تعني بذلك؟

الشيطان : تذكر : حين كانت ابنة الملك طفلة ، كانت تأتي إلى الجبل لابسة قبعة صغيرة حمراء يقتلها الخوف والأمل . وكان عليها أن تعود إلى القصر محزونة وحيدة ، لأنها لم تجد ذئباً . أتفهمني؟

الطالب : لا أدري . . .

الشيطان : لما التقيت بها أول مرة ، كانت قادمة لكي يخطفها قائد عصابة من قاطعي الطريق . ولم تجرؤ على أن تكون ذلك القائد في ذلك المساء .

الطالب : اسكت ! واتركني .

الشيطان : قد تلتقي بها مرة أخرى وحيدة في الجبل . ربما هذه الليلة نفسها .

الطالب : كلا ! دعني منك .

الشيطان : (بصوت أفعى) إن أكلت من هذه الثمرة ، فستصبح بقامة إله !

الطالب : (بعنف . وهو ينهض) اخرس !

الشيطان : جبان ! . . . **(يسمع طرقٌ على الباب)**

الطالب : من الطارق؟

ابنة الملك : (يسمع صوت في الداخل) عابرا سبيل ، سيدي القائد !

الطالب : هذا الصوت . . . ! أسمعت؟

الشيطان : افتح . **(بينما يذهب الطالب ليرفع المزلاج)** والآن ! **(يفرغ محتوى الخاتم في كأس الطالب ويدلق الأخرى)** ستأكل من شجرة الحياة ! **(يخرج من المدخنة)**

المشهد الخامس

الطالب وابنة الملك وكاسكبيل

ابنة الملك تلبس قبعة حمراء ، وتظهر في الباب ممسكة بالمهرج .

كاسكبيل : في الواقع، ياسـيـدتي، هذا هو نزل الديك الأبيض. كي كي ري كي.

الطالب : هذه أنت، ياسيدتي! **(يلتفت برأسه قلقاً. وحين يلمح أن الشيطان غير موجود، يتنفس بارتياح)** ادخلا!

ابنة الملك : سيدي القائد... يجب أن تعذرني. جئت واضعة ثقتي في نبلك لكونك قاطع طريق وإسبانياً.

الطالب : باسم قاطعي الطريق وإسبانيا، أشكرك ياسيدتي. لكن ادخلي، فالبرد مرعب. **(يهمّ بإغلاق الباب)**

كاسكبيل : لحظة. إنها تمطر بسخاء، والحصانان لا يزالان في الخارج.

الطالب : آه، نعم. الحصانان. فليدخلا.

كاسكبيل : ليس على هذا الشكل. أيوجد إسطبل جاهز؟

الطالب : نعم، حقاً. تجده تحت الرواق.

كاسكبيل : **(بخبث)** يمكنك أن تغلق الباب. والأفضل أن أتأخر أنا. **(متنحياً إلى جانب)** حزورة، احزروا:

إلى مـاذا تتطلع ابنة الملك؟ **(حين يخرج)** لازلتُ أشم رائحة صفقة مريبة .

المشهد السادس

ابنة الملك والطالب

الطالب: اعذريني . . . إنها المفاجأة . ثيابك مبللة .

ابنة الملك: تقريباً . ستجف بسرعة . لديك نار لذيذة هنا .

الطالب: احقاً . **(يجلس قربها عند النار)** وهي الآن لذيذة على وجه خاص .

ابنة الملك: ماذا تظن بي؟

الطالب: أوه بحق الله . . .

ابنة الملك: مجيئي كان جرأة خشية أن يشتبه أحد من أهل القصر . خرجت وكأن قوة تدفعني دون أن أفكر جيداً في ما أقوم به . وظننت أكثر من مرة أنني سأموت من الخوف في الطريق .

الطالب: الواقع أن الليل غاشم .

لبنة الملك: القمر زرع عيوناً وأذرعاً في الأشجار، والأشجار وضعتها في الطريق. لحسن الحظ، كاسكبيل يملك فكاهة ممتازة، وراح يقص علي قصص خوف ليهدئني.

الطالب: والله، فكرة.

ابنة الملك: مشهورة. كان يقول لي يجب تعرية الخوف. وأخيراً استطاع أن يجعلني أضحك بسخافاته. لكن لا، لا أريد أن تظنني مجنونة. لم أفكر أبداً أن تواتيني الجرأة وأخطو هذه الخطوة. ومع ذلك، ها أنت ترى. لبست كما كنت البس حين كنت طفلة، وأبحث في الجبل عن موضوع قصة.

الطالب: ماجرى يبعث على السعادة. أنت مسحورة بكل بساطة.

ابنة الملك: كان علي أن ألبس رداء المتوسلين. لأنني جئت أيها القائد متوسلة إليك بملء روحي من أجل إنقاذ شعبي.

الطالب: وسأكون سعيداً بخدمتك.

ابنة الملك: أتعلم النداء الذي أمر أبي بإذاعته؟

الطالب : أعرفه .

ابنة الملك : أطلق الشيطان علينا كل مصائبه . . . يجب انقاذ المملكة !

الطالب : أو تظنين أن كل شيء سيختفي بقتل الشيطان؟

ابنة الملك : نعم، أعتقد . كل الناس يقولون ذلك .

الطالب : والجائزة يدك . أعرضها الملك أم أنت؟

ابنة الملك : أنا لا إرادة لي إلا مايشاؤه أبي .

الطالب : صدقاً، سيدتي الأميرة؟ فكري أن من سيباشر هذا الأمر رجل محب .

ابنة الملك : حسن أيها القائد! صدقاً : الجائزة عرضتها أنا .
وإني أعرضها عليك . لا أحد غيرك يستطيع قتل الشيطان .

الطالب : شكراً . ياسيدتي ! . **(يقبل يدها)** لكن ! لماذا لاأحد غيري؟

ابنة الملك : معلمي قال ذلك . أليس لديك خنجر؟

الطالب : **(يعرضه عليها)** أهذا؟

ابنة الملك: أوه، نعم: شفرته من فضة وعلى مقبضه صليب من ياقوت. هذا هو! ألديك الشجاعة؟

الطالب: سيدتي، حين أتوجه صوبك، يصبح الشيطان عقبة صغيرة.

ابنة الملك: بحق حبي، اقتله أيها القائد.

الطالب: أقسم بحبك ياأميرتي، سيموت الشيطان. **(يرفع كأسه)** عديه بين الأموات! **(يشرب)**والآن، يجب أن تنسحبي قبل طلوع الفجر وانكشاف أمرك. أنا سأرافقك. **(تخور قواه فجأة. يضع الكأس على المنضدة ويمسح جبهته بيده)**

ابنة الملك: ماهذا، ماذا جرى لك؟

الطالب: لا أدري... لاتهتمي. انه البرد.

ابنة الملك: بالله، مابك.

الطالب: لاشيء.

ابنة الملك: لاتفزعني! **(تضع يدها على جبهته)** صدغاك يلتهبان.

الطالب: البرد... **(يمسكها من ذراعيها بعنف)** أنت جميلة جمال إله، ياعزيزتي!

ابنة الملك: أنت تخيفني . . . **(تتراجع)** في عـينيك شيء غريب . . اتركني !

الطالب : ياطفلة ، ياطفلة. . . . . وأخيراً ستعثرين على الذئب !

ابنة الملك: بالله ، اتركني . **(تنادي)** كاسكبيل !

الطالب : لاتنادي . سيطل الليل عليك من النوافذ ، ويسخر منك .

ابنة الملك: دعني ! . . . ياكاسكبيل !

الطالب : سرقت القبلة الأولى . سأسرق القبل الأخرى . وسأسرقك أنت كلك .

ابنة الملك : **(بصوت ضعيف)** كاسكبيل ! **(على وشك أن تسقط ، يسندها وينظر إليها بشراهة)**

الطالب: هكذا تنامين ، تنامين من الخـوف . **(يضعها على مقعد)** حتى القـمر لن يعرف ذلك . شعرك من مطر ، وعيناك من ماء مالح ، كل ذلك سيكون لي ياعـزيزتي . **(ينظر إليـهـا ملياً ، ويجـهـد مفـاجىء ينتفض لحظة)** لا . . لا ! **(يتأمل الكأس)** آه منك

ياسافل! **(يعود إلى جانبها ويضحك بغباء)** هذا المجرم، ما أبرع شغله! **(يتأمل الكأس)** شكراً، أيها الشيطان! **(يمسك بيديها)** نامي، ياطفلتي! حتى القمر لن يعرف ذلك. **(يأخذ بالصراخ فجأة)** لا، لا. **(يفتح الباب)** كاسكبيل، أسرع ياكاسكبيل! **(يمسك الكأس ويرمي بها بغضب)**

كاسكبيل: (داخلاً) سيدي القائد... سيدتي!

الطالب: لاتسأل عن شيء. اركب حصاني، الحصان الأسود. هو سريع كالريح. هيّا! خبّر السيد الملك... كلا! انتظر. لاتذهب الآن. خذ: اربط يديّ.

كاسكبيل: أتمزح ياسيدي القائد؟

الطالب: لاتسل شيئاً. اربط يدي بقوة: شد أكثر... هكذا! **(يقوم كاسكبيل بذلك)** والآن أسرع: خذ الحصان الأسود، وأخبر أهل القصر أني أسير وأن ابنة الملك في خطر. هيّا، ياكاسكبيل! وتعال قبل الفجر. **(يخرج كاسكبيل)** الحصان الأسود! اقتله من الركض ياكاسكبيل! **(يجاهد كأنه يصارع شيئاً**

غير منظور) لا! دعني! إني أنكرك، أيها الشيطان! أنكرك! أنكرك! **(تطفأ الأضواء كلها والظلمة المطلقة تمتد لحظات معدودات. مصدران ضوئيان: أحمر وأبيض يضيئان وجه الطالب وهو في حالة صراع، وابنة الملك النائمة. في الخارج، تصفر الريح. مضى الليل كله. يتسلل ضوء الصباح ببطء. ناي رعوي يعزف الأنغام الأولى من لحن «الصباح» للموسيقي غريغ. تشق الهواء فجأة دقات أجراس طائرة)**

- الصباح -

ابنة الملك: (مذعورة) كاسكبيل!

الطالب: سيدتي...

ابنة الملك: أنت؟ لكن، ما هذا؟ ماذا تعني هذه الأجراس؟

الطالب: (مشرق الوجه) لا أدري، تبدو دقات شكر وتسبيح.

ابنة الملك: وهذا الضوء؟

الطالب: طلع الصباح! **(تسكت الأجراس)**

ابنة الملك: الصباح! **(تتذكر)** إنها ساعة الحقيقة. لماذا كنت تنظر إلي الليلة الفائتة تلك النظرة!

الطالب: ماكنت أنا الذي ينظر.

ابنة الملك: (تركع أمامه) قل لي إني حلمت الليلة الماضية. قل لي إن كل ذلك كان كذباً.

الطالب: حلمت، نعم! وكان كله كذباً.

ابنة الملك: كرر ذلك، كرره!

الطالب: لاتخافي من ضوء الصباح! فليمح كل شيء! وليغسل كل شيء! **(يسمع خبب جياد)** لقد وصلوا!

ابنة الملك: من هم؟

الطالب: أسرعي، وافتحي لهم الباب.

ابنة الملك: (تهرع نحو النافذة) إنه السيد الملك. انج بنفسك. معه جنوده. **(تقفل الباب بالمزلاج وتهرع إلى جانبه)** اهرب!

الطالب: كلا!

ابنة الملك : لكن يديك مقيدتان! هل أنت جريح؟ ماذا جرى هنا؟

الطالب : افتحي لهم .

ابنة الملك : كلا! لن يدخلوا حتى تصبح أنت بعيداً . **(تشرع بفك وثاقه)** اهرب ، بحق الله!

الطالب : إنها ساعة الحقيقة ، أنت قلتها بنفسك .

ابنة الملك : لست بحاجة لمعرفة شيء . أحبك . انج بنفسك!

الطالب : يجب علي أن أبقى .

ابنة الملك : أنا أحبك! أحبك! **(يقرع باب السلم . صارخة)** انج بنفسك!

الطالب : **(وقد تحررت يداه)** إنهم رجالي . افتحي .

ابنة الملك : بالله . . .

الطالب : **(آمراً)** افتحي! **(تفتح ابنة الملك باب النزل ، ويفتح الطالب باب السلم بآن واحد . من هذا الأخير يخرج صاحب النزل والرجال جماعة . وفي الوقت نفسه تقريباً ، يظهر في الباب الأول السيد الملك ، والمربي وكاسكبيل . خلفهم تلمع أسنة الجنود وسيوفهم)**

فارفان: قائدي!

كلوتالدو: إنهم جنود الملك!

صاحب النزل: فندقي . . . قضي علي!

الطالب: اهدؤوا . لاتخشوا شيئاً .

الملك: **(داخلاً)** أهذا هو الفتى؟ هيا، ياجنود، خذوه!

ابنة الملك: **(صارخة)** لا!

الملك: السيدة ابنتي!

الطالب: ارجوكم أن تستمعوا إليّ لحظة، ياسيدي .

الملك: أمن عادتك أن تقدم رجاءك وأنت محاط بالبنادق؟

الطالب: هؤلاء الرجال ياسيدي، خدمك . ألقوا بهذا السلاح! **(تسقط البنادق مجلجلة)**

الملك: **(مسروراً)** لابأس! هذا أمر حسن . **(للمربي)** ألا يبدو ذلك؟ إني أستمع!

الطالب: قبل كل شيء، اعذرني إن كلمتك دون تذلل . لن اطلب منك شيئاً لاتدينون به لي .

الملك: هوم!

الطالب: أنا، ياسيدي، خطوت على الأرجح بعض الخطوات باتجاه المشنقة.

الملك: نعم، بعض الخطوات. لكن، لاتقلق. فسوف تصل إليها.

المربي: «فينيس كورونات أوبوس» «Finis coronat opus»(١).

الملك: **(الذي لم يفهم المعنى)** ها أنت سمعت ذلك.

الطالب: ومع ذلك، لا أريد أن أصل إلى تلك المصائر العالية دون أن أمنحكم الفرصة بنبل، لتدفعوا ماتدينون به لي.

الملك: جيد جداً. وبماذا أدين لك؟

الطالب: بالمملكة.

الملك: ياإله! هذا شيء يسير!

الطالب: لاتنسوا أنكم وعدتموني بها.

الملك: أبداً! هيا ياجنود!

الطالب: اهدؤوا! لايزال يوجد شحاذون يحملون جواهر

---

(١) نظير قولنا: كما تزرع تحصد. **(المترجم)**

في جيـوبهم! ولا يزال يوجد من يقتل التنينات
بالحب، سيدي الملك.

الملك: حزورة فزورة! أنت تلاعبنا كسخلة!

ابنة الملك: اسكت ياأبي، استمع إليه.

الطالب: أتذكر النداء الذي أمرت بإذاعته البارحة؟

الملك: نعم، أذكره جيداً. وفيه عرضت مملكتي...

الطالب: عرضتها عليّ.

الملك: عرضتها!

الطالب: عليّ.. عليّ! أنا قتلت الشيطان! **(وشوشات)**

الملك: أنت؟

ابنة الملك: أنت؟

الطالب: نعم، أنا. هذه الليلة وفي هذا المكان ذاته! كان يلتفّ على جسدي كالأفعى. تصارعنا حتى مطلع الشمس. وصرعته.

الملك: (تخور قواه) أسمعت ذلك، أيها المربي؟

المربي: اهدأ ياسيد!

الطالب: صرعته. وجردته من سلاحه.

المربي: اهدأ، اهدأ.

الطالب: وقيّدت يديه!

المربي: ألديك برهان واحد عما تقول؟

ابنة الملك: نعم، لديه! أتعرف هذا الخنجر؟ **(تتركه يسقط مرعوبة)** دم!

الطالب: **(خارجاً عن طوره)** صرعته! صرعته!

المربي: في الواقع، ياسيدي هذا هو خنجر الشيطان ذاته. وهو مشبع بالدم. لابد من أن نسلم بالحقيقة: «نيهيل ايست انتيليكتوس كود بريوس نون فويريت إن سينسو» «Nihil est intelectus quod prius non fuerit in sensu»(١). لقد مات الشيطان.

الطالب: خنقته! **(يضغط على صدره)** خنقته هنا في داخلي.. والآن؟ **(لابنة الملك)**

ابنة الملك: شكراً، أيها القائد. **(تقبل يديه، ويوقفها هو. تدق الأجراس من جديد)**

الملك: **(مرتجفاً)** الشيطان مرة أخرى! من يقرع هذه الأجراس؟

---

(١) لاشيء في العقل إلا وكان من قبل في الحواس. **(المترجم)**

كاسكبيل : (يهرع إلى أعلى السلم) إلى العرس. إلى العرس! الجرس الكبير صار مجنوناً.

المربي: أمر عجيب! أن تدق هنا.

صاحب النزل: أجراسنا دقت من قبل!

كلوتالدو : فوق، لايوجد أحد!

صاحب النزل : معجزة! **(راكضاً)**

الملك: ستودون بي إلى الجنون! **(للطالب)** أتريد أن تشرح لي ماذا يعني هذا ياقائد؟

الطالب : أنا نفسي، لاأفهم الأمر، ياسيدي. **(لكاسكبيل الذي يظهر في أعلى السلم)** ماهذا ياكاسكبيل؟ من هناك؟

كاسكبيل : لا أحد، أنها الأجراس تدق مسبحة الله.

(تطلع الشمس)

ختـــــــام

نبذة عن حياة أليخاندرو كاسونا

اسمه وكنيته الحقيقيان : أليخاندرو رودريغيز ألباريس . ولد في بيسويو (منطقة استورياس) في ٢٣ آذار ١٩٠٣ . وتوفي في مدريد في ١٧ أيلول ١٩٦٥ . درس الفلسفة والآداب في جامعتي أوبييدو ومرسية . في عام ١٩٢٢ انتسب إلى مدرسة المعلمين العليا . واختياره لهذه الدراسة كان اقتداء بوالديه . فقد كانا ، هما ، معلمين أيضاً . في عام ١٩٢٨ ، توجه إلى قرية بايّه دي آران معلماً في مدرسة ابتدائية . وخير مايصنعه المرء في هذه القرية الجميلة من بلاد البيرنيه التأمل والمطالعة . ويبدأ كاسونا هناك رسالته المسرحية بدافع من التسلية ، فأسس مسرحاً للأطفال سماه «العصفورة الملونة» . مسرح قام فيه ممثلون صغار بتمثيل مواضيع تقليدية بلهجة محلية . في ذلك التاريخ (١٩٢٩) انتهى من كتابة / الحورية الخارجة من الماء/ . ولم تعرض على المسرح إلا بعد خمس سنوات (١٩٣٤) بعد ان نال عليها جائزة لوبي دي بيغا وهي أكبر جائزة تمنح لعمل مسرحي في أسبانيا . ونال جائزة الأدب الوطنية عن كتابه

«مختارات من الأساطير»، وقد كتبه بغرض جلب انتباه الأطفال إلى خير مافي تلك الأساطير وأخصبها.

في عام ١٩٣١، كلفته إدارة المهمات التربوية في وزارة التعليم العام، بإدارة «مسرح الشعب»، الموجه لتطوير برنامج هام وواسع لصالح المسرح؛ هدفه ايصال الأعمال المسرحية إلى أبسط القرى المحرومة من معرفة أحد أنبل الأجناس الأدبية.

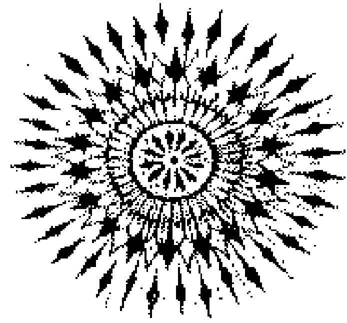
عن تلك الأعوام الحافلة بالعمل والبهجة، كتب كاسونا: «خلال الأعوام الخمسة التي كان لي حظ قيادة تلك العصبة الطلابية، طفنا أكثر من ثلاثمائة قرية في قطر دائرة يمتد من سانبريا حتى مانتشا؛ ومن آراغون حتى ايستر امادورا. دائرة نقطة مركزها تقع في القفر القشتالي. قرى رأتنا نصل إلى عقر دورها وساحاتها وأفنيتها، وننصب خشباتنا في الهواء الطلق، ونمثل ماأعددناه بعناية تجاه دهشة أهالي القرية.

إذا كنت أفخر بعمل جميل قمت به في حياتي، فقد كان ذلك العمل. وإذا كنت تعلمت شيئاً جيداً عن الشعب وعن المسرح، فهناك تعلمته. ثلاثمائة تمثيلية، أمام طلاب وجمهور ذي معرفة ولغة بدائيتين هي تجربة معلمة».

ومنذ ١٩٣٤ ، وبدافع من النجاح الفائق الذي لقيته/ الحورية الخارية من الماء/ تفرغ كاسونا تفرغاً كاملاً لتطوير قدراته الدرامية الهائلة . في عام ١٩٣٧ غادر إسبانيا منفياً سياسياً؛ وطاف خلال عامين فرنسا ، والمكسيك ، وبويرتوريكو ، وفنزويلا وغيرها ، ثم استقر في الارجنتين . ونال شهرة عالمية تضعه في مقدمة كتاب المسرح المعاصرين . عاد إلى إسبانيا في أوائل الستينات وتوفي في مدريد عام ١٩٦٥ .

الفهرس

٢٠٠٠ ط١ /٤/١٩٩٩



الطباعة وفرز الألوان مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٩

سعر النسخة داخل القطر

١٠٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

٢٠٠ ل.س